تفسیر سورة الفاتحة

سورة الفاتحة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (١)

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٢) الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (٣)

مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ (٤) إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ (٥)

اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (٦)

صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ (٧)

صدق الله العظيم

نویسنده: سید جعفر مرتضی عاملی

بسم الله الرحمن الرحیم

تفسیر سوره الفاتحه

کاتب:

سید جعفر مرتضی عاملی

نشرت فی الطباعهٔ:

دفتر نشر الهادی

رقمی الناشر:

مرکز القائمیهٔ باصفهان للتحریات الکمبیوتریهٔ

الفهرس

الفهرس ----- ۵
تفسیر سوره الفاتحه ----- ۱۲
اشارة ----- ۱۲
مقدمة الناشر ----- ۱۲
تقدیم ----- ۱۳
تمهید ----- ۱۳
اشارة ----- ۱۳
إلفات نظر لا بد منه: ----- ۱۶
علی (ع) و تفسیر سورة الفاتحة، و البسملة: ----- ۱۶
مناوئوا علی علیه السّلام و حساده: ----- ۱۸
تفسیر قوله تعالی: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِیمِ ----- ۱۹
اشارة ----- ۱۹
بدایة و تمهید: ----- ۱۹
البدء باسم اللّه: ----- ۱۹
النقص فی البدایة و فی النهایة: ----- ۲۰
الباء للاستعانة أم للملابسة: ----- ۲۱
لماذا الترکیز علی الاسم؟ ----- ۲۲
الأسماء الحسنی وسیلة الدعاء ----- ۲۳
اللّه: ----- ۲۳
الأصنام عند العرب: ----- ۲۴
الرحمن الرحیم ----- ۲۴
اشارة ----- ۲۴
تحدید معنی الرحمان الرحیم: ----- ۲۴

سبب اختیار هاتین الصفتین: و هنا سؤال یقول: ----- ۲۶
کلمة "الرحمان "علم أم صفة؟ ----- ۲۷
تفسیر قوله تعالی: الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعالَمِینَ ----- ۲۸
اشارة ----- ۲۸
الحمد للّه: ----- ۲۸
اشارة ----- ۲۸
اختصاص الحمد باللّه سبحانه: ----- ۲۸
الحمد و الرحمة بدایة و نهایة: ----- ۲۹
له الحمد فی الأولی و الآخرة: ----- ۳۰
اشارة ----- ۳۰
اشارة ----- ۳۰
لماذا لم یقل الحمد لرب العالمین: ----- ۳۲
لماذا الحمد؟!: ----- ۳۲
لغة القرآن فی التربیة العقائدیة: ----- ۳۲
التسبیح بحمد اللّه تعالی: ----- ۳۳
و هنا العدید من الأسئلة: ----- ۳۳
اشارة ----- ۳۳
و نقول فی الجواب: ----- ۳۳
لماذا تسبیحة کبیرة: ----- ۳۵
شمولیة کلمة: رب ----- ۳۶
العالمین: ----- ۳۶
اشارة ----- ۳۶
ما المقصود بالعالمین: ----- ۳۶
اشارة ----- ۳۶

أولا: التربیة للعالمین: ۳۷
اشارة ۳۷
الأول: سجود المخلوقات و تسبیحها لیس تکوینیا. ۳۸
الثانی: تکامل الإدراک و الشعور و مستواه: ۳۸
ثانیا: العالمون خاص بالبشر: ۳۹
اشارة ۳۹
استدلال لا یصح: ۴۰
ربی أم رب العالمین: ۴۰
الکون المتوازن: ۴۰
و لنضرب مثالا توضیحیا لما نرید تقریره هنا: ۴۱
الألوهیة و الربوبیة معا: ۴۱
نتائج ثلاثة: ۴۲
تفسیر قوله تعالی: الرَّحْمنِ الرَّحِیمِ ۴۳
اشارة ۴۳
الرحمن الرحیم: مرة اخری: ۴۳
النقص حقیقی و أساسی: ۴۳
ثبات و استمرار الرحمة: ۴۴
دوافع التربیة و الرعایة: ۴۴
تفسیر قوله تعالی: مالِکِ یَوْمِ الدِّینِ ۴۴
اشارة ۴۴
المعاد مشکلة حقیقیة للمشرکین: ۴۴
أی أنواع المالکیات للّه تعالی؟ ۴۷
و هذا القسم هو الأهم من الأقسام التی سبقته. ۴۸
یَوْمِ الدِّینِ: ۴۹

اشارهٔ ----- ۴۹
مالکیهٔ اللّه سبحانه للدنیا: ----- ۴۹
الدین هو الجزاء: ----- ۴۹
یوم: ----- ۵۰
مالک أو ملک: ----- ۵۰
الخلود فی العذاب، و العدل: ----- ۵۱
نجیب: ----- ۵۱
تفسیر قوله تعالی: إِیَّاکَ نَعْبُدُ وَ إِیَّاکَ نَسْتَعِینُ ----- ۵۱
اشارهٔ ----- ۵۱
بدایهٔ: ----- ۵۱
إیاک نعبد: ----- ۵۲
اشارهٔ ----- ۵۲
تقدیم کلمهٔ إیاک: ----- ۵۲
نعبد و نستعین بصیغهٔ الجمع: ----- ۵۳
مراتب العبادهٔ: ----- ۵۵
ما المراد بالعبادهٔ: ----- ۵۵
تنوع المستحبات و کثرتها: ----- ۵۶
فما هو هذا السر فی هذا و ذاک یا تری؟ و لماذا؟! ----- ۵۶
و إیاک نستعین: ----- ۵۷
اشارهٔ ----- ۵۷
الوعی یقتضی الاستعانهٔ: ----- ۵۷
التوحید فی العبادهٔ و الاستعانهٔ: ----- ۵۷
جبر أم اختیار: ----- ۵۷
الاستعانهٔ، و العجب و الریاء و غیرها. و نقول أیضا: ----- ۵۷

الاستعانة بغیر اللّه سبحانه: ۵۸

الاستعانة باللّه و الجبر الإلهی: ۵۹

تفسیر قوله تعالی: اهْدِنَا الصِّراطَ الْمُسْتَقِیمَ ۶۰

اشارة ۶۰

اهدنا الصراط المستقیم: ۶۰

ارتباط الآیة بما قبلها: ۶۰

الطلب الجازم: ۶۱

الإسلام لا یغنی عن طلب الهدایة: ۶۱

اشارة ۶۱

و نقول فی الجواب. ۶۲

أنواع الهدایة و أقسامها: ۶۴

اشارة ۶۴

و نقول: إن هذا البیان غیر مقبول. ۶۵

و توضیح ذلک: ۶۵

الهدایة و الجبر الإلهی: ۶۵

إهدنا الصراط أو إلی الصراط: ۶۶

اشارة ۶۶

و الجواب: ۶۶

مناقشة و ردّها: ۶۶

الصراط المستقیم: ۶۷

اشارة ۶۷

الجواب: ۶۷

و ینشأ من هذا البیان سؤال. ۶۷

اشارة ۶۷

و نجیب: ۶۷
(ال) فی الصراط للجنس أو للعهد: ۶۸
وصف الصِّراطَ بالمستقیم: لماذا؟! ۶۸
و الخطوط المتعرجة تکون: ۶۹
تفسیر قوله تعالی: صِراطَ الَّذِینَ أَنْعَمْتَ عَلَیْهِمْ غَیْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَیْهِمْ وَ لَا الضَّالِّینَ ۶۹
اشارة ۶۹
نسبة الصراط إلی غیر اللّه سبحانه: ۶۹
اشارة ۶۹
فهنا أسئلة ثلاثة: ۷۰
اشارة ۷۰
و نقول فی الجواب عن هذه الأسئلة: ۷۰
النعمة و النقمة: ۷۲
و مع هذا، فکیف نفسر قوله تعالی: ۷۲
اشارة ۷۲
و نقول فی الجواب: ۷۲
و إن شئت لخصت ما تقدم علی الشکل التالی: ۷۴
من هم الذین أنعم اللّه علیهم: ۷۴
شمول الآیة للنبی (ص) و الأئمة (ع): ۷۴
نحن و السابقون: ۷۵
و نقول: إننا نجمل توضیحنا فی إطار النقاط التالیة: ۷۵
غایة الأمر: ۷۵
لیس للّه علی الکافر نعمة؟: ۷۶
لکننا مع ذلک نقول: ۷۶
إعراب غیر المغضوب: ۷۷

اشارهٔ ---- ۷۷

و نقول فی الجواب: ---- ۷۷

لماذا المغضوب: ---- ۷۸

من هم المغضوب علیهم و الضالون: ---- ۷۸

التوضیح و التطبیق: ---- ۷۹

تناقض یسیء إلی المعنی: ---- ۸۰

و لا الضالین: ---- ۸۱

إمامهٔ أبی بکر فی سورهٔ الفاتحهٔ: ---- ۸۱

کلمهٔ أخیرهٔ: ---- ۸۲

المصادر و المراجع ---- ۸۲

محتویات الکتاب ---- ۸۴

تعریف مرکز القائمیهٔ باصفهان للتحریات الکمبیوتریهٔ ---- ۸۸

تفسیر سوره الفاتحه

اشارهٔ

سرشناسه : عاملی، جعفرمرتضی، - ۱۹۴۴

عنوان و نام پدیدآور : تفسیر سوره الفاتحه/ جعفرمرتضی العاملی

مشخصات نشر : قم: دفتر نشر الهادی؛ بیروت: دار السیره، ۱۴۱۷ق. = ۱۳۷۵.

مشخصات ظاهری : ص ۱۶۰

شابک : بها:۳۵۰۰ریال

وضعیت فهرست نویسی : فهرستنویسی قبلی

یادداشت : عربی

یادداشت : کتابنامه: ص. ۱۵۶ - ۱۵۳؛ همچنین بهصورت زیرنویس

موضوع : تفاسیر (سوره فاتحه)

رده بندی کنگره : BP۱۰۲/۱۲/ع۲ت۷ ۱۳۷۵

رده بندی دیویی : ۲۹۷/۱۸

شماره کتابشناسی ملی : م۷۵-۱۰۴۰۵

مقدمهٔ الناشر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

و الحمد للّه حمدا كثيرا و سبحان اللّه بكرهٔ و أصيلا، و الصلاهٔ و السّلام على رسوله الذى أرسله بالحق شاهدا و مبشرا و نذيرا، و هاديا بإذنه و سراجا منيرا، و على آله الذين أذهب اللّه عنهم الرجس و طهرهم تطهيرا.

أما بعد ..

فها نحن نقدم للقارئ العزيز، الطبعهٔ الثانيهٔ البيروتيهٔ من «تفسير سورهٔ الفاتحهٔ» بعد طبعته الأولى فى مدينهٔ قم المقدسهٔ، و التى بات من الواضح أنها عبارهٔ عن دروس يقدمها سماحهٔ العلامهٔ المحقق السيد جعفر مرتضى العاملى (دام ظله) فى درسه التفسيرى الأسبوعى.

و تفسير هذه السورهٔ هى أول إصدارات هذه السلسلهٔ، لكن لما كانت الطبعهٔ الأولى قد صدرت فى قم المقدسهٔ، و حيث أن المركز الإسلامى للدراسات قد ارتأى نشر جميع هذه السلسلهٔ فى بيروت، فقد بات من الضرورى إعادهٔ طبع هذا الكتاب فى بيروت أيضا ليتسنى للقارئ العزيز الحصول عليها، لا سيما و أن

تفسير سورهٔ الفاتحهٔ، ص: ٨

العلامهٔ المحقق يحيل فى بعض الأحيان إلى ما ذكره فى تفسير هذه السورهٔ.

هذا و لا بد من الإشارهٔ إلى أن المركز الإسلامى للدراسات، قام و بالتنسيق مع سماحته (حفظه المولى) بإجراء بعض الإضافات الضروريهٔ التى كان لا بد منها فى بعض الموارد لزيادهٔ البيان و إيضاح المقصود.

فضلا عن القيام بتصحيح ما كانت قد عانت منه الطبعهٔ الأولى من أخطاء.

نسأل اللّه سبحانه و تعالى أن يتولانا بلطفه و يوفقنا لما يحب و يرضى، إنه نعم المولى و نعم النصير.

المركز الإسلامى للدراسات

تفسير سورة الفاتحة، ص: ٩

تقديم

بسم الله الرحمن الرحيم و الحمد للّه رب العالمين، و الصلاة و السّلام على محمد و آله الطاهرين، و بعد.

فهذه دروس حول آيات سورة الفاتحة خصصت لبعض الاخوة الأعزاء من شبابنا الأكارم فى بلدة عدشيت. و قد استخرجها- مشكورا- الأخ وفيق سعد من أشرطة التسجيل، و بذل فى سبيل ذلك جهدا و وقتا، على أمل أن يتم تكثيرها، و توزيعها على بعض الإخوة الراغبين.

ثم تأكدت الرغبة فى نشرها، فلحقها بعض الإصلاحات لعباراتها، و التنظيم لفقراتها، الذى يؤهلها لأن تكون مفهومة لمن يريد الإطلاع عليها.

و نريد أن نذكر القارئ الكريم هنا بأننا لم نستفد من كتب التفسير كثيرا. بل إن مراجعتنا لها تكاد لا تستحق التنويه بها؛

تفسير سورة الفاتحة، ص: ١٠

و لأجل ذلك فإن القارئ لن يستفيد كثيرا من هذه الدروس، إذا كان يرغب فى الإطلاع عل أقوال المفسرين، و على الأمور التى اعتادوا التركيز عليها، و الإهتمام بها.

و بعد، فإننى لا أستطيع أن أطلق على هذه الدروس اسم (تفسير). و إنما هى مجرد مشاعر و خواطر، يمكن تلمس مناشئها و تداعياتها فى دلالات سورة الفاتحة، التى هى أم الكتاب العزيز، و السبع المثانى.

و أرجو أن أكون قد وفقت فى هذه المحاولة، التى سوف يلمس فيها القارئ الكريم إصرارا على الإلتزام بالأجواء القرآنية، و عدم الإنسياق، فى رحاب المعانى إلى درجة تجاوز حدود المداليل و الإيحاءات للآيات الكريمة. كما قد يحدث أو حدث ذلك بالفعل لبعض من تصدى لتفسير القرآن الكريم، أو لتفسير بعض سوره.

و مهما يكن من أمر، فعلى الأقل لا- يمكن أن يعتبر هذا الإنجاز هو النموذج الأفضل للتفسير. فقد يحتاج إلى الكثير من التقليم و التطعيم. و قد نستفيد كثيرا من ملاحظات الإخوة الأعزاء حفظهم اللّه تعالى، و نحن لهم سلفا من الشاكرين.

وفقنا اللّه جميعا لصواب القول، و صلاح الفعل، و خلوص القصد.

تفسير سورة الفاتحة، ص: ١١

و الحمد للّه، و صلاته و سلامه على عباده الذين اصطفى محمد و آله الطاهرين.

جعفر مرتضى العاملى

٢٠ شهر رمضان المبارك ١٥١۶ ه. ق.

تفسير سورة الفاتحة، ص: ١٣

تمهيد

اشارة

أحببت هذه المرة أن أخالف المألوف، و أتمرد على ما هو معروف، حيث إننى لا أريد أن أكتب فى هذا التمهيد شيئا من عند نفسى، بل أريد فقط أن أورد بضع روايات عن أهل بيت العصمة توضح لنا التفسير، و شرائطه، و مناهجه.

و الذى زاد من رغبتى فى ذلك هو أننى لم أر أحدا من المفسرين حاول أن يركز اهتمامه على هذه الروايات، رغم أنها من الأهمية

بمکان.

و هذه الروایات التی اخترتها هی التالیة:

۱- روی عن الإمام الصادق، و کذا عن الإمام الحسین علیهما السّلام: أنه قال:

(کتاب اللّه علی أربعة أشیاء: علی العبارة، و الإشارة، و اللطائف، و الحقائق. فالعبارة للعوام، و الإشارة للخواص، و اللطائف للأولیاء، و الحقائق للأنبیاء) «۱».

---

(۱) راجع: بحار الانوار: ج ۸۹ ص ۱۰۳ و ۲۰ و ج ۷۵ ص ۲۷۸ عن کتاب الاربعین، و عن الدرة الباهرة و أعلام الدین ص ۳۰۳ و جامع

تفسیر سورة الفاتحة، ص: ۱۴

۲- لقد أوضح أهل بیت العصمة: أن علی المفسر أن یبحث عن معنی الکلمات و التراکیب فی الاستعمالات المتداولة بین الناس من مختلف الفئات و القبائل، لیعثر علی القاسم المشترک الذی یمکن للجمیع من خلاله أن یتلمسوا المعنی المراد، لأن الاقتصار علی لغة فریق معین، أو قبیلة بعینها، ربما لا یکون مجدیا أن لم یکن سببا فی الإبتعاد عن المعنی الحقیقی و المراد أحیانا.

و المثال الذی نورده هنا: هو أنه قد روی أن بعضهم کان فی مجلس الإمام السجاد علیه السّلام، فقال له: یا ابن رسول اللّه، کیف یعاقب اللّه و یوبخ هؤلاء الأجلاف علی قبائح أتی بها أسلافهم، و هو یقول: وَ لا تَزِرُ وازِرَةٌ وِزْرَ أُخْری «۲»؟!.

فقال علیه السّلام: (إن القرآن نزل بلغة العرب، فهو یخاطب فیه أهل اللسان بلغتهم، یقول الرجل التمیمی- قد أغار قومه علی بلد، و قتلوا من فیه: أغرتم علی بلد کذا، و فعلتم کذا ..

الاخبار و الآثار للأبطحی ج ۱ ص ۴۵۱ عنه و عن نزهة الناظر ص ۱۱۰ و عن کتاب الأربعین فی قضاء حقوق أمیر المؤمنین و راجع: جامع الاخبار ص ۴۸/ ۴۹.

(۲) سورة الأنعام آیة ۱۶۴. الاسراء، آیة ۱۵. فاطر آیة ۱۸. الزمر آیة ۷.

تفسیر سورة الفاتحة، ص: ۱۵

و یقول العربی: نحن فعلنا ببنی فلان، و نحن سبینا آل فلان، و نحن خربنا بلد کذا.

لا یرید أنهم باشروا ذلک. و لکن یرید هؤلاء بالعذل، و أولئک بالامتحان (الافتخار) أن قومهم فعلوا کذا.

و قول اللّه عز و جل فی هذه الآیات إنما هو توبیخ لأسلافهم، و توبیخ العذل علی هؤلاء الموجودین، لأن ذلک هو اللغة التی نزل بها القرآن، و لأن هؤلاء الأخلاف أیضا راضون بما فعل أسلافهم، مصوبون ذلک لهم؛ فجاز أن یقال لهم: أنتم فعلتم، إذ رضیتم قبیح فعلهم) «۳».

و عن الصادق علیه السّلام: نزل القرآن بإیاک أعنی و اسمعی یا جارة «۴».

۳- قد أشاروا علیهم السّلام إلی ضرورة معرفة خصوصیات کل لفظ، و سر اختیاره لموقعه دون سواه، فقد روی:

أنه لما نزل قوله تعالی: إِنَّکُمْ وَ ما تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ

---

(۳) الاحتجاج ج ۲ ص ۱۳۸ ط سنة ۱۴۱۳ ه. و تفسیر الامام العسکری ص ۲۷۰ و البحار ج ۴۵ ص ۲۹۶.

(۴) الکافی ج ۲ ص ۶۳۱ و تفسیر العیاشی ج ۱ ص ۱۰ و نور الثقلین ج ۳ ص ۱۹۸ و تفسیر البرهان ج ۴ ص ۸۴ و ج ۱ ص ۲۲ و تفسیر القمی ج ۱ ص ۱۶ و البحار ج ۸۹ ص ۳۸۲ و ج ۹ ص ۲۲۲ و ج ۱۷ ص ۸۳.

تفسیر سورة الفاتحة، ص: ۱۶

حَصَبُ جَهَنَّمَ «۵» قال ابن الزبعری: فنحن نعبد الملائکة، و الیهود تعبد عزیرا، و النصاری تعبد عیسی (علیه السّلام).

فأخبر النبی (ص) فقال: یا ویل أمه! أما علم أن (ما) لما لا یعقل، و (من) لمن یعقل الخ «۶».

و حینما سأل بعضهم الإمام الصادق- أو الباقر- علیهما السّلام عن المسح فی الوضوء، فقال له: من أین علمت أن المسح ببعض الرأس؟! و بعض الرجلین؟! قال علیه السّلام: لمکان الباء «۷».

أی فی قوله تعالی:

وَ امْسَحُوا بِرُؤُسِکُمْ وَ أَرْجُلَکُمْ إِلَی الْکَعْبَیْنِ «۸».

۴- إن الطهارة من الذنوب أیضا تعین علی فهم القرآن؛ ففی دعاء ختم القرآن المروی عن السجاد علیه السّلام:

---

(۵) سورة الأنبیاء: الآیة ۹۸.

(۶) راجع: الکنی و الالقاب ج ۱ ص ۲۹۴.

(۷) راجع: تفسیر العیاشی ج ۱ ص ۲۹۹ و تفسیر البرهان ج ۱ ص ۴۵۳ و ۴۵۱ و دعائم الاسلام ج ۱ ص ۱۰۹ و مستدرک الوسائل ج ۱ ص ۳۱۴ و ۳۱۶ و الوسائل ط مؤسسة آل البیت ج ۱ ص ۴۱۳ و ج ۳ ص ۳۶۴ و الاستبصار ج ۱ ص ۶۳ و تهذیب الأحکام ج ۱ ص ۶۱ و الکافی ج ۳ ص ۳۰ و علل الشرائع ج ۱ ص ۲۷۹.

(۸) سورة المائدة الآیة ۶.

تفسیر سورة الفاتحة، ص: ۱۷

(و اجعل القرآن لنا فی ظلم اللیالی مؤنسا. و من نزعات الشیطان، و خطرات الوسواس حارسا. و لأقدامنا عن نقلها إلی المعاصی حابسا. و لألسنتنا عن الخوض فی الباطل من غیر ما آفة مخرسا.

و لجوارحنا عن اقتراف الآثام زاجرا).

و لما طوت الغفلة عنا من تصفح الاعتبار ناشرا. حتی توصل إلی قلوبنا فهم عجائبه، و زواجر أمثاله الخ ..) «۹».

۵- و ثمة روایة عن الإمام الصادق علیه السّلام یذم فیها الغاصبین، ذکر فیها (ع) أصول التفسیر، و شروطه التی لا بد من الوقوف عندها، و الانتهاء إلیها، و الانطلاق منها. و هی روایة مهمة جدا، نذکر إحدی فقراتها، و هی التالیة:

روی عن الإمام الصادق علیه السّلام: أنه قال فی جملة حدیث له:

(و ذلک أنهم ضربوا بعض القرآن ببعض، و احتجوا بالمنسوخ، و هم یظنون أنه الناسخ، و احتجوا بالمتشابه، و هم یرونه أنه المحکم، و احتجوا بالخاص و هم یقدرون أنه العام، و احتجوا بأول الآیة، و ترکوا السبب فی تأویلها، و لم ینظروا إلی ما یفتح الکلام و الی ما یختمه، و لم یعرفوا موارده و مصادره، إذ لم یأخذوه عن أهله، فضلوا و أضلوا.

---

(۹) الصحیفة السجادیة، الدعاء عند ختم القرآن ص ۱۳۶.

تفسیر سورة الفاتحة، ص: ۱۸

و اعلموا رحمکم اللّه أنه من لم یعرف من کتاب اللّه عز و جل الناسخ من المنسوخ، و الخاص من العام و المحکم من المتشابه، و الرخص من العزائم و المکی من المدنی، و أسباب التنزیل، و المبهم من القرآن فی ألفاظه المنقطعة و المؤلفة، و ما فیه من علم القضاء و القدر، و التقدیم و التأخیر، و المبین و العمیق، و الظاهر و الباطن و الابتداء و الانتهاء، و السؤال و الجواب، و القطع و الوصل، و المستثنی منه و الجاری فیه، و الصفة لما قبل مما یدل علی ما بعد، و المؤکد منه، و المفصل، و عزائمه و رخصه، و مواضع فرائضه و

أحكـامه و معنى حلاـله و حرامه الـذى هلك فيه الملحـدون، و الموصول من الألفاظ، و المحمول على ما قبله، و على ما بعـده، فليس بعالم بالقرآن، و لا هو من أهله، و متى ما ادعى معرفهٔ هذه الأقسام مدع بغير دليل، فهو كاذب مرتاب، مفتر على اللّه الكذب و رسوله، و مأواه جهنم و بئس المصير) «۱۰».

هـذه هى الروايات التى أحببت أن أقـدمها أمام تفسـير سورهٔ الفاتحـهٔ، (إن صح إطلاق اسم التفسـير على هذه المطالب). و لا أريد أن أضيف عليها شيئا.

(۱۰) بحار الأنوار ج ۹۰ ص ۳ و ۴ و وسائل الشيعهٔ ج ۲۷ ص ۲۰۰ و ۲۰۱ و جامع الاخبار و الآثار للأبطحى ج ۱ ص ۵۳۱/ ۵۳۲.

تفسير سورهٔ الفاتحهٔ، ص: ۱۹

إلفات نظر لا بد منه:

إننا نذكر القارئ الكريم بالأمور التاليهٔ:

الأول: إن مراجعتنا لكتب اللغـهٔ أحيانا، إنما كانت من أجل الاطلاع على موارد اسـتعمالات الألفاظ أو التراكيب، و ذلك للتعرف على آفاق المعنى و حدوده، و إلماحته، و إشاراته، و إيحاءاته.

لأن ذلك مهم جدا فى نيل المعانى القرآنيهٔ، و تحديد مدلولات مفرداتها، و تراكيبها على حد سواء.

هذا .. إلى جانب لزوم ملاحظهٔ الاسـتعمالات القرآنيهٔ، و التوفر التام على مناحى و جهات الاسـتعمالات فيه للفظ، أو للتركيب الذى هو محط النظر، بهـدف اكتشـاف الحـدود و القيود أو حتى المنحى القرآنى الخـاص، بما له من مزايا و حالات، قـد تختلف فى مراميها و مغازيها عن غيرها مما هو معروف و مألوف، و متداول.

الثـانى: إننـا قـد حاولنا: أن نقوم ببعض المقارنات فيما بين البـدائل اللفظيـهٔ، التى يمكن اقتراحها، أو الإلتجاء إليها، ثم تحديـد الفوارق التى يمكن تلمسها بين اللفظ المختار، و بين اللفظ الآخر، الذى يفترض كونه بديلا.

و قـد شـعرنا من خلال ذلك: أن هـذه المحاولـهٔ تسـهم فى وضوح و تحديد المعنى القرآنى بصورهٔ ظاهرهٔ، من حيث انها تساعد على اكتشاف الخصوصيات التى لها مساس بالمعنى المدلول، و تؤثر

تفسير سورهٔ الفاتحهٔ، ص: ۲۰

فى معرفـهٔ حدوده و آفاقه. بل و قد تساعد على تحديد مناشـئه و غاياته. هذا ان لم تكن قد ساعدت على انتاج معان جديدهٔ من خلال إيحاءاتها المختلفهٔ، و دلالاتها، التى تسـتند الى وسائل تعبيريهٔ لم يسـبق أن خضعت للتحديد فى معاجم اللغهٔ، و لا فى علومها المتداولهٔ ..

الثالث: إننا نتمنى على القارئ الكريم أن يتابع فصول الحـديث عن سورهٔ الفاتحـهٔ الى نهايته، لأن هـذه السورهٔ المباركـهٔ كل لا يتجزأ، يسهم آخره فى فهم أوله، و أوله يساعد على فهم و استكناه حقيقهٔ المراد من آخره.

فقـد حـددت هـذه السورهٔ المباركـهٔ كل الملامـح لحياهٔ هـذا الإنسان بكل فصولها و أبعادها، من البدايـهٔ الى النهايهٔ، و أختصـرت كل الخطهٔ الإلهيهٔ فى هدايته لهذا الإنسان ليقوم بدوره على النحو الأكمل و الأمثل و الأفضل فى هذا العالم العتيد ..

على (ع) و تفسير سورهٔ الفاتحهٔ، و البسملهٔ:

عن على عليه السّلام: لو شئت لأوقرت سبعين بعيرا فى تفسير فاتحهٔ الكتاب «۱۱».

(۱۱) التراتیب الاداریهٔ ج ۲ ص ۱۸۳ و بحار الانوار ج ۸۹ ص ۱۰۳ و ۹۳ عن اسرار الصلاهٔ، و مناقب آل أبی طالب ج ۲ ص ۵۳ و تفسیر البرهان ج ۱ ص ۳ و ینابیع المودهٔ ص ۶۵ و جامع الاخبار و الآثار للأبطحی ج ۲ ص ۴۸ و احقاق الحق (الملحقات)

تفسیر سورهٔ الفاتحهٔ، ص: ۲۱

و عنه علیه السّلام: لو شئت لأوقرت بعیرا من تفسیر بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِیمِ «۱۲».

و فی حدیث آخر عنه: لو شئت لأوقرت أربعین بعیرا من شرح: بِسْمِ اللَّهِ «۱۳»

و فی نص ثالث عنه علیه السّلام: (لو شئت لأوقرت ثمانین بعیرا من معنی الباء «۱۴».

ج ۷ ص ۵۹۴ کلاهما عن: اسرار الصلاهٔ ص ۱۳۸ و عن شرح دیوان أمیر المؤمنین ص ۱۵ مخطوط. و شرح عین العلم و زین الحلم ص ۹۱ و الروض الازهر ص ۳۳ و جالیهٔ الکدر ص ۴۰ و تاریخ آل محمد ص ۱۵۰.

(۱۲) احقاق الحق (الملحقات) ج ۷ ص ۵۹۵ عن ابن طلحهٔ فی مطالب السؤل ص ۲۶. و راجع: کشف الغمهٔ ج ۱ ص ۱۳۰ و التفسیر الکبیر للرازی ج ۱ ص ۱۰۶ و مستدرک سفینهٔ البحار ج ۱ ص ۲۳۱ و ۳۱۶.

(۱۳) بحار الانوار ج ۴۰ ص ۱۸۶ عن مشارق أنوار الیقین

(۱۴) مستدرک سفینهٔ البحار: ج ۱ ص ۲۳۱ و احقاق الحق: ج ۷ ص ۵۹۵ عن الشعرانی فی لطائف المنن ج ۱ ص ۱۷۱. و راجع: جامع الاخبار و الآثار للأبطحی ج ۲ ص ۴۸.

تفسیر سورهٔ الفاتحهٔ، ص: ۲۲

و عن ابن عباس قال: (یشرح لنا علی (ع) نقطهٔ الباء من بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِیمِ "لیلهٔ؛ فانفلق عمود الصبح، و هو بعد لم یفرغ) «۱۵».

و نقول:

۱- انه قد لا یکون ثمهٔ منافاهٔ بین البعیر الواحد، و الأربعین و الثمانین بعیرا؛ إذا کان (ع) قد قال ذلک فی مجالس و مناسبات مختلفهٔ، اقتضت کل مناسبهٔ منها أن یشیر الی مستوی معین من المعانی و المعارف بل و حتی فی مجلس واحد، فإن ذکر الأقل لا ینلفی ذکر الأکثر و لا یناقضه. فهو لو شاء لأوقر بعیرا، و لو شاء لأوقر أکثر من ذلک الی أربعین. بل لو شاء لأوقر ثمانین أیضا.

۲- إن سعهٔ علم علی علیه السّلام و غزارته مما لا یختلف فیه اثنان. و قد أثبت علیه السّلام عملا ما یقرب إلی الأذهان معقولیهٔ تلک الأقوال و واقعیتها.

۳- إنه علیه السّلام بقوله هذا یرید أن یفتح الآفاق الرحبهٔ أمام فکر الإنسان لینطلق فیها، و یکتشف أسرار الکون و الحیاهٔ، و یتعامل معها من موقع العلم و المعرفهٔ و یقود مسیرهٔ الحیاهٔ فیها من موقع الطموح و الهیمنهٔ الواعیهٔ و المسؤولهٔ.

۴- إن هذه الأرقام لیست خیالیهٔ بالنسبهٔ لسورهٔ الفاتحهٔ، التی هی أم القرآن، و هی السبع المثانی التی جعلت عدلا للقرآن

---

(۱۵) مستدرک سفینهٔ البحار ج ۱ ص ۲۳۱.

تفسیر سورهٔ الفاتحهٔ، ص: ۲۳

العظیم فی قوله تعالی: وَ لَقَدْ آتَیْناکَ سَبْعاً مِنَ الْمَثانِی وَ الْقُرْآنَ الْعَظِیمَ «۱۶» کما روی «۱۷».

کما أن ذلک لیس بعیدا عن بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِیمِ، أعظم آیهٔ فی کتاب اللّه العزیز. کما روی عن الإمامین الصادق و أبی الحسن الکاظم علیهما السّلام «۱۸».

۵- أما بالنسبهٔ لحدیث نقطهٔ الباء فلا ندری مدی صحته، بعد أن کان المؤرخون یذکرون أن تنقیط الحروف قد تأخر عن عهد علی علیه السّلام بعدهٔ عقود من الزمن. إلا أن یکون ثمهٔ نقط لبعض الحروف فی أول الأمر، ثم استوفی النقط لسائرها بعد ذلک.

(۱۶) سورة الحجر آیة ۸۷.

(۱۷) تفسیر البرهان ج ۱ ص ۴۰ و ۴۱ و ۴۲ و غرائب القرآن (بهلمش جامع البیان) ج ۱ ص ۲۸ و تفسیر العیاشی ج ۱ ص ۲۱.

(۱۸) راجع: البحار ج ۸۲ ص ۲۱ و ج ۸۹ ص ۲۳۸ عن العیاشی ج ۱ ص ۲۲ و ۲۱ و مجمع البیان ج ۱ ص ۱۹. و تفسیر البرهان ج ۱ ص ۴۲ و التفسیر الکبیر ج ۱ ص ۲۰۴ و مستدرک الوسائل ج ۴ ص ۱۶۶ و ۱۶۷ و جامع الاخبار و الآثار ج ۲ ص ۶۲ و ۶۱ و ۶۳ عن من تقدم و عن مواهب الرحمان ص ۲۱.

تفسیر سورة الفاتحة، ص: ۲۴

مناوئوا علی علیه السّلام و حساده:

و حین رأی حساد علی علیه السّلام و مناوئوه المتسترون:

أن علیا علیه السّلام قد ذهب بها فخرا و مجدا و سؤددا فی جمیع المواقع، و فی مختلف الجهات انبروا لیدعوا لأنفسهم ما هو أعظم من علی و من علم علی علیه السّلام. رغم أن کل أحد یعرف مبلغهم من العلم. و یعرف نوع و مستوی ما یتداولونه من أمور عادیة و مبتذلة، أطلقوا علیها اسم العلم، و هی أبعد ما یکون عنه.

و ذلک بسبب ما فیها من شوائب، و أباطیل ما أنزل اللّه بها من سلطان.

فلنقرأ ما یقوله هؤلاء عن أنفسهم فی انتفاخات و ادعاءات استعراضیة خاویة.

فقد ادعی أعظم مفسریهم الفخر الرازی: أنه یمکن أن یستنبط من فوائد سورة الفاتحة عشرة آلاف مسألة «۱۹».

کما و یدعون أن أبا بکر ابن العربی قد استنبط من القرآن بضعا و سبعین ألف علم «۲۰».

(۱۹) التفسیر الکبیر ج ۱ ص ۵ و التراتیب الاداریة ج ۲ ص ۱۸۳ عنه.

(۲۰) التراتیب الاداریة ج ۲ ص ۱۸۳.

تفسیر سورة الفاتحة، ص: ۲۵

أما البکری، فقد تکلم عن بعض علوم البسملة فی سنین بکرة کل یوم فی الأشهر الثلاثة منها. و قال فی بعض مجالسه: لو أردت التکلم علی ذلک العمر کله لم یف، أو کما قال «۲۱».

بل إن البکری قد تکلم فی نقطة البسملة فی ألفی مجلس و مائتی مجلس «۲۲».

و نقول:

حدث العاقل بما لا یلیق له، فإن لاق له فلا عقل له:

و نحن لا ندری کیف لم تظهر فرق و مذاهب من الغلاة فی البکری یقدسونه، بل و یؤلهونه، کما غلا بعض الناس فی علی علیه السّلام حتی ألهوه؟!!

و لا ندری أیضا کیف ضاعت تلک العلوم التی نشرها البکری فی محاضراته تلک؟! و کیف لم یحفظها تلامیذه و ینشروها فی سائر الأقطار و الأمصار، لیستفید منها الناس، فی أمور معاشهم و معادهم؟!!

و لیت الناس قد نقلوا لنا و لو أسماء و همیة للعلوم التی استنبطها أبوبکر ابن العربی من القرآن. و تلک هی مؤلفات هذا الرجل متداولة بین الناس، و لا نجد فیها أی رائحة لهذه العلوم. بل

(۲۱) المصدر السابق.

(۲۲) التراتیب الاداریة ج ۲ ص ۱۸۴.

تفسیر سورة الفاتحة، ص: ۲۶

لا نجد فیها أی تمیز لها عما سواها من مؤلفات أقرانه، و من هم علی شاکلته، إن لم نقل: إن الآخرین أکثر براعة منه، و أدق نظرا.

تفسیر سورة الفاتحة، ص: ۲۷

تفسیر قوله تعالی: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِیمِ

اشارة

تفسیر سورة الفاتحة، ص: ۲۹

بدایة و تمهید:

قد عرفنا: أن البسملة هی أعظم آیة فی القرآن الکریم، و عرفنا ما نقل عن علی أمیر المؤمنین علیه السّلام حول تفسیرها، و ما یمکن أن یقدمه للأمة من شرح قد تنامی و اتسع حتی یمکن کتابة الأسفار التی تنوء بحملها العشرات من وسائل الحمل التی کانت متوفرة آنئذ.

و قد تحدث المفسرون عن أمور کثیرة و متنوعة حول الآیة الکریمة التی نرددها عشرات المرات یومیا، وفقا لما ورد عن الشرع الشریف فی ذلک، و أکثر ما ذکروه یدخل فی السیاق اللغوی و الترکیبی و طبیعته و مناشئه و غیر ذلک.

و نحن هنا نحیل القارئ علی ما کتبوه، إن أحب الإطلاع علیه، أما نحن فنتجه إلی منحی آخر فیما نرید أن نثیره من دلالات و إیماءات هذه الآیة المبارکة.

فنقول:

تفسیر سورة الفاتحة، ص: ۳۰

البدء باسم اللّه:

لقد ورد فی الحدیث الشریف، عن علی علیه السّلام عن النبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم، أنه قال: کل أمر ذی بال لم یذکر فیه «اسم اللّه» أو «بسم اللّه» فهو أبتر «۲۳».

و فی حدیث آخر: کل امر ذی بال لا یبدأ فیه ببسم اللّه فهو أبتر «۲۴».

و عن أبی هریرة عنه (ص): کل کلام أو أمر ذی بال لا یفتح بذکر اللّه عز و جل فهو أبتر. أو قال: أقطع «۲۵».

و السؤال هنا هو: لماذا یطلب منا أن ننظر إلی البسملة، أو فقل: أن نتعامل مع بسم اللّه الرّحمن الرّحیم، علی أنها جزء من کل أمر ذی بال (أی شأن)؟.

ثم ما هی المعانی التی یرید اللّه أن یلقننا إیاها من خلال الترکیز علی البسملة، و یطلب منا أن نعیشها الی درجة أن تصبح جزءا من حیاتنا و ممارساتنا؟

---

(۲۳) التفسیر المنسوب للعسکری (ع) ص ۲۵ و البحار ج ۸۹ ص ۲۴۲ و ج ۷۳ ص ۳۰۵ و تفسیر البرهان ج ۱ ص ۴۶.

(۲۴) التفسیر الکبیر للرازی ج ۱ ص ۲۱۳ و جامع الأخبار و الآثار ج ۲ ص ۶۶ عنه.

(۲۵) مسند أحمد بن حنبل ج ۲ ص ۳۵۹.

تفسیر سورهٔ الفاتحهٔ، ص: ۳۱

إن مما لا شک فیه أن ثمهٔ معان جمیلهٔ و ممیزهٔ و لطائف و معارف فی بسم اللّه الرّحمن الرّحیم، یرید تعالی منا أن ندرکها بعمق، و أن نتفاعل معها بوعی و مسؤولیهٔ، فما هی تلک المعانی؟، و هل یمکننا نیلها أو نیل بعضها و لو بدرجهٔ متواضعهٔ؟.

إننا قبل کل شئ نشیر الی ما ذکره العلامهٔ الطباطبائی رحمه اللّه من أن الناس ربما یبدءون فی عمل، أو یحققون إنجازا فیقرنونه باسم عزیز علی قلوبهم، أو کبیر من کبرائهم، لیکتسب عملهم بذلک شرفا، أو برکهٔ، أو لیخلدوا اسم ذلک العزیز، أو الکبیر و یبقی ببقاء ذلک العمل. و من هنا نجدهم یسمون انسانا أو مؤسسهٔ، أو غیر ذلک بإسم من یحبونه، أو یعظمونه لیبقی الاسم ببقاء المسمی الجدید. لأن بقاء المسمی- و الحالهٔ هذه- نوع بقاء للاسم ثم لصاحب الإسم الحقیقی، و من هذا القبیل من یسمی ولده باسم والده تکریما لذلک الوالد «۲۶».

و نقول:

إننا لا ننکر: أن الأمر ینتهی إلی التشریف، و التکریم و البرکهٔ. و لکن الأمر بالنسبهٔ لإعتبار البسملهٔ جزءا من کل أمر لا یقتصر علی هذه الاعتبارات التی یتعامل معها الناس بالطریقهٔ

---

(۲۶) تفسیر المیزان ج ۱ تفسیر البسملهٔ.

تفسیر سورهٔ الفاتحهٔ، ص: ۳۲

العامیهٔ و السطحیهٔ، بل هو یتجاوزه لیکون علی مستوی الطریقهٔ الإلهیهٔ، التی تمثل العمق و الأصالهٔ و الدقهٔ.

و ذلک لأن کلامنا یرید البرکهٔ و یتطلبها. و هی تعنی الزیادهٔ و النمو و التکامل المعنوی و المادی. و لکننا حین نجد أنهم علیهم السّلام قد طلبوا منا أن لا ندع البسملهٔ فی أی شیء صغیرا کان أو کبیرا «۲۷»، و بدونها سیکون مبتورا و ناقصا. فإن ذلک یعنی أن الأمر لیس مجد برکهٔ و شرف و تکریم، بل هو أکبر من ذلک و أهم.

و یلفت نظرنا هنا قوله (ص "):لا یبدأ فیه "و لم یقل: لیس معه، أو: لم یسبقه.

النقص فی البدایهٔ و فی النهایهٔ:

و لا بد أیضا من التوقف و التأمل فی هذا التقابل الذی یقرره هذا الحدیث؛ حیث فرض أن البدء من جههٔ هو نفسه الذی یوجب النقص أو الکمال فی الجههٔ المقابلهٔ.

مع أنک إذا قلت: إذا لم تفعل الأمر الفلانی، فان عملک سیکون ناقصا، فان نقصه إنما یکون من جههٔ نفس عدم فعلک للأمر الفلانی المشار إلیه آنفا. و لکن الأمر هنا لیس کذلک، فإن النقص للبسملهٔ إنما جاء فی جههٔ أول الفعل، و البتر و النقص قد

---

(۲۷) راجع: البرهان فی تفسیر القرآن ج ۱ ص ۴۵- ۴۶ و تفسیر الإمام العسکری (ع) ص ۲۲ و البحار ج ۸۹ ص ۲۴۰.

تفسیر سورهٔ الفاتحهٔ، ص: ۳۳

جاء فی آخره؛ لأن المبتور هو مقطوع الآخر أو الذنب، و الأقطع هو مبتور الید.

و نقول:

إن نقصان آخره إنما هو من حیث إنقطاعه عن البقاء و الدوام، فهو أبتر لانقطاع آخره.

و لعلنا نستطيع أن نفهم مبرر هذا الأمر فی ذكر مثال تقريبی هو:

إن اللّه تعالی يقول: كُلُّ مَنْ عَلَيْها فانٍ. وَ يَبْقى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلالِ وَ الْإِكْرام «۲۸». و قال تعالی: فَأَيْنَما تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ «۲۹».

فقد يقول قائل: ان المراد بوجه اللّه هو اللّه تعالی نفسه، فكأنه قال: و يبقی اللّه ذو الجلال و الإكرام. و كأنه قال: أينما تولوا فثم اللّه تعالی نفسه.

و لكن هذا التفسير يبقی غير كاف و لا واف بالمقصود.

و ذلك للأمور التالية:

---

(۲۸) سورة الرحمن الآيتان ۲۶ و ۲۷.

(۲۹) سورة البقرة آية ۱۱۵.

تفسير سورة الفاتحة، ص: ۳۴

۱- إنه لا مجال لأن يضاف الشیء إلی نفسه. فالإضافة و النسبة دليل المغايرة بين المضاف و المنسوب و هو "وجه "و بين المنسوب و المضاف إليه، و هو "اللّه."

۲- هذا، بالإضافة إلی ما ورد من أن أهل البيت عليهم السّلام هم وجه اللّه، فهل يعنی ذلك أنهم عليهم السّلام هم الذات الإلهية نفسها؟ تعالی اللّه عن ذلك علوا كبيرا.

۳- و إذا كان كل شیء هالك إلا نفس الذات الإلهية، فعلی الإسلام، و كل أعمال الخير و البر و الصلاح السّلام، لأنها كلها أيضا أشياء، فهل هی هالكة أيضا؟

۴- قال تعالی: ما عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ، وَ ما عِنْدَ اللَّهِ باقٍ «۳۰» و لا معنی لفناء كل شیء مع بقاء الأشياء التی عند اللّه أيضا.

و التفسير الصحيح لهذه الآية، و لآيتی سورة الرحمان و البقرة هو أن كل شیء من حيث الوجود المادی يفنی، و لكنه من حيث الوجود المعنوی باق، إذا كانت وجهته إلی اللّه سبحانه، لأن نسبته إليه، و كونه باتجاهه تعالی تكسبه حالة من نوع ما تجعله يبقی و يستمر بسببها، و يشهد لذلك آيات و أحاديث كثيرة. فلنقرأ قوله تعالی: وَ قَدِمْنا إِلى ما عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ، فَجَعَلْناهُ هَباءً

---

(۳۰) سورة النحل الآية ۹۶.

تفسير سورة الفاتحة، ص: ۳۵

مَنْثُوراً «۳۱». إذ لو كان لوجه اللّه لما جعله كذلك. و قوله تعالی:

أَعْمالُهُمْ كَسَرابٍ بِقِيعَةٍ، يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ ماءً، حَتَّى إِذا جاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئاً، وَ وَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ، فَوَفَّاهُ حِسابَهُ «۳۲».

إذن، فكل شیء وجهته إلی اللّه سبحانه يكون فيه جهة بقاء، و دوام، و خلود. و الذی لا يكون كذلك فهو هباء منثور، كسراب بقيعة، أبتر.

و كمثال علی ما نقول: إذا تبرع أحدهم بمبلغ من المال لغير وجه اللّه. فمن جهة الحدوث لا شك فی أن ذلك قد حدث. و لكن من جهة البقاء فليس ثمة ما يوجب بقاءه؛ لأنه يفقد عنصر البقاء.

و ذلك مثل العدالة التی هی شرط فی إمام الجماعة. و لكن مجرد حدوثها فيه لا يكفی بل لا بد من بقاء تلك العدالة و استمرارها، بحيث لو فسق فی آخر جزء من الصلاة، فان الصلاة تبطل بجميع أجزائها.

الباء للاستعانة أم للملابسة:

و عن سؤال: هل الباء للمصاحبة؟ أم للاستعانة، أم للتعدية، أم لمجرد الملابسة؟ أم لغير ذلك؟

---

(۳۱) سورة الفرقان آية ۲۳.

(۳۲) سورة النور آية ۳۹.

تفسير سورة الفاتحة، ص: ۳۶

نجيب: أن بعض المفسرين رجحوا أنها للاستعانة، و ذلك لأن الإنسان مفتقر بذاته، محتاج إلى الغنى بذاته. و نحن نرجح أنها للملابسة، و ذلك لأننا إذا رجعنا إلى حديث: كل أمر ذى بال لا يبدأ فيه ببسم اللّه فهو أبتر، فإننا ندرك: أن الباء ليست للمصاحبة، أو الاستعانة، أو لغير ذلك و إنما هى لمجرد الملابسة، لأن قوله: لا يبدأ فيه، إنما يعنى أن البسملة جزء من الأمر الذى نعمله، و إلا لكان اللازم أن يقال: كل أمر ذى بال لا يستعان فيه أو لا تصاحبه. و جزئية البسملة هذه لا تتلاءم إلا مع كون الباء لمجرد الملابسة.

لماذا التركيز على الاسم؟

و من الملاحظ: أن الحديث هنا قد جاء عن الاسم.

و أيضا: ان الآيات القرآنية، تهتم بالاسم و تسلط الضوء على الأسماء، باستثناء البعض من تلك الآيات التى تعدت ذلك إلى الحديث عن الذات الإلهية المقدسة.

فاقرأ مثلا قوله تعالى: اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِى خَلَقَ «۳۳» و فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ «۳۴»

---

(۳۳) سورة العلق الآية ۱.

(۳۴) سورة الواقعة الآية ۷۴.

تفسير سورة الفاتحة، ص: ۳۷

و وَ لِلَّهِ الْأَسْماءُ الْحُسْنى فَادْعُوهُ بِها «۳۵».

فلماذا هذا التركيز و الاهتمام بالاسم و الأسماء؟

و نجيب بسؤال: هل نحن قادرون- بالنسبة للذات الإلهية- على استكناه حقيقة المسمى و تصوره؟

بل هل نستطيع: أن نتصور كنه أسمائه تعالى، فضلا عن المسمى؟

الجواب: طبعا، لا.

ان غاية ما نتصوره هو الحد الأدنى و الجانب الميسور و القريب من الاسم و القادر على أن يشير إلى المسمى إشارة خفيفة و بسيطة تكفى لأن تجعلنا نتضرع إلى اللّه به، لأنه يعطينا هذا المستوى من الإدراك. و هو سبحانه يقبل ذلك منا: لأننا غير قادرين على أكثر منه. و قد أمرنا بالابتعاد عن التعمق فى التفكير فى ذات اللّه سبحانه «۳۶» لأنه أمر فوق العقل.

و هكذا يتضح: أنه لا مبرر لما يقوله بعضهم من أن الاسم هو عين المسمى، و كذلك العكس .. و يزيد من وضوح عدم صحة ذلك أنه لا ينسجم مع قوله تعالى: وَ لِلَّهِ الْأَسْماءُ الْحُسْنى

---

(۳۵) سورة الأعراف الآية ۱۸۰.

(۳۶) راجع البحار ج ۲ ص ۲۵۹.

تفسير سورة الفاتحة، ص: ۳۸

فَادْعُوهُ بِها «۳۷» حيث جعل اللّه الأسماء الحسنى وسيلة إلى ندائه تعالى- ان كان المعنى: نادوه بها- أو وسيلة للتوصل إلى نيل رضاه سبحانه، فلو كان الاسم عين المسمى لم يصح الأمر بدعاء اللّه بها، و لم يصح إضافتها و نسبتها إليه تعالى.

الأسماء الحسنى وسيلة الدعاء

أما لماذا طلب منا سبحانه أن نجعل أسماءه الحسنى وسيلة دعائنا له؟ أو لماذا طلب منا أن ننادى اللّه بواسطة أسمائه الحسنى؟

كقولك خاطب زيدا باسمه، مقابل خطابه بلقبه مثلا.

فلأن الاسم قد وضع لمعان حسية، أو قريبة من الحس. أريد منها هنا أن تعبر عن معان راقية و عالية، و بمقدار ما تترقى مدارك و استعدادات البشر و تتنامى، فان ذلك يؤثر على مستوى و درجات فهمهم و نيلهم لتلك المعانى السامية، و تتفاوت درجات انكشافها لهم. فإذا سمعنا كلمة رؤوف، رحيم، كريم، قوى، الخ ..

مضافة إلى الذات الإلهية فإن كلامنا يفهم درجة من تلك الرأفة و الرحمة و .. أما حقيقة رحمته تعالى و كرمه و قوته، فلا يمكن لنا إدراكها ..

---

(۳۷) سورة الأعراف الآية ۱۸۰.

تفسير سورة الفاتحة، ص: ۳۹

و من جهة أخرى: إننا نتعامل مع هذه الأسماء من خلال مزيج من الإدراكات العقلية، و الفطرية، مع الأحاسيس و المشاعر الفطرية و الوجدانية. فهى ليست أسماء ذات طابع عقلى فلسفى محض ..

فصفات العزيز الجبار، الرحيم الشافى، التواب، الحنان الخ .. هى أسماء تحاكى الفطرة و تناجيها، و تناغيها، و تلامس الضمير و الوجدان، و تثيره، و تشعر من خلالها بأنك قريب من اللّه، مع انك لا تستطيع أن تدرك نفس الذات.

و من هنا نعرف السر فى أنه تعالى قد أمرنا أن ندعوه بواسطة تلك الأسماء، و أن نجعلها و سيلتنا فى الدعاء، لأننا حينما نتوجه إليه بالدعاء نكون بأمّس الحاجة إلى الإحساس و الشعور به عز و جل .. لا أن ندركه و نتصوره، فان ذلك ليس هو المهم.

و تلك الأسماء توفر لنا ذلك الشعور العميق المفعم بالمعانى الحية، و المثيرة لكوامن الإحساس به و بوجوده، و بالحاجة إليه، و بالضعف أمامه، و غير ذلك من معان توحى لنا بها تلك الأسماء. انها تجعلنا نتفاعل معه، و نعيش فى رحابه، و ننطلق فى آفاقه، و تترك آثارها على كل وجداننا، و على حياتنا العملية، على حركتنا و موقفنا و سلوكنا مع الناس، و مع أنفسنا، انها تحل مشاكلنا النفسية، و الروحية، من حيث انها توحى إلينا بالمعانى التى نشعر أننا بحاجة لأن نتلمسها و نعيشها، و نشعر أنها أدواتنا التى توصلنا إلى ما نطمح

تفسير سورة الفاتحة، ص: ۴۰

إليه، و تحقق لنا ما نريد من دون حاجة إلى دليل عقلى أو فلسفى، أو منطقى برهانى.

ان كل ذلك لا يمكن أن تحققه لنا قناعات فكرية، أو معادلات رياضية، أو براهين فلسفية.

فهذه الأسماء إذن توصلنا فى موضع الخوف، و الرجاء، و الضعف و الحاجة إلى اللّه سبحانه، و تصلنا به من أقرب طريق، و أصفاه.

اللّه:

أما بالنسبة للفظ الجلالة "اللّه "فهو اسم علم للذات الإلهية المقدسة.

و قد أخطأ من قال: انه اسم لشىء عام كلى هو (واجب الوجود بالذات)، أو اسم (للمعبود بالحق) أو ما إلى ذلك.

اذ لو كان كذلك لكان المراد من كلمة "لا اله إلا اللّه "لا واجب الوجود، إلا واجب الوجود، أو لا معبود بالحق إلا المعبود بالحق.
و يدل على ذلك أيضا ما أشار إليه السيد العلامة الطباطبائى رحمه اللّه تعالى، من أن لفظ الجلالة يوصف بجميع الأسماء الحسنى، و لا يصح أن يقع هو وصفا لأى واحدة منها.
تفسير سورة الفاتحة، ص: ۴۱

الأصنام عند العرب:

و واضح: أن العرب كانوا يستعملون لفظ الجلالة فى معناه.
أما الأصنام فكانوا يعتقدون: أنها تقربهم إلى اللّه تعالى زلفى، و أن لها نوعا من التأثير فى حياتهم: فى الشفاء، و الرزق، و حل المشاكل، و ما إلى ذلك. فيعطونها نوعا من الشراكة مع اللّه سبحانه بهذا المعنى.
و قد كانوا يعظمونها- فى الأساس- لأنها تمثل بعض الصلحاء، أو غير ذلك. ثم تطور هذا التعظيم ليصبح تقديسا، ثم تطور ليصبح اعتقادا ببعض التأثير، و تعاظم و نما حتى بلغ درجة الشرك الذى هو ظلم عظيم. فجاء الانحراف عن مقتضيات الفطرة تدريجيا، كما ترى.
تفسير سورة الفاتحة، ص: ۴۲

الرحمن الرحيم

اشارة

إننا قبل أن نتكلم عن المقصود من هاتين الكلمتين، نشير إلى أمر هام يرتبط بمعناهما، بل هو يرتبط بسائر صفاته و أسمائه تعالى، و هو: أن الرحمة لدى بنى الإنسان عبارة عن انفعال نفسانى ذى طابع خاص، يحصل بسبب رؤية العجز أو الضعف أو النقص لدى إنسان أو أى مخلوق آخر ذى روح. فإذا رأينا طفلا عمره شهر تحت أشعة الشمس، أو جريحا، أو رجلا تحت الأنقاض يحصل فى داخلنا انفعال معيّن بطريقة عفوية و فطرية، يدفعنا إلى العمل و مديد المساعدة لذلك العاجز و المنكوب.
لكن حينما نصف الذات الإلهية المقدّسة المنزّهة بصفة الرحمانية و الرحيمية، فإن نحو و كيفية تلبسها بصفة الرحمة، أو انتساب الرحمة إليها يختلف عن نحو و كيفية تلبسها بالإنسان و انتسابها إليه. و نحن نجهل تماما حقيقة الرحمة التى ننسبها إليه تعالى، و لا نستطيع حتى أن نتصوّر حقيقتها، و نجهل أيضا كيفيتها لديه تعالى.
تفسير سورة الفاتحة، ص: ۴۳
و قد ورد النهى عن المعصومين عليهم السّلام عن التعمق فى التفكير فى حقيقة الذات الإلهية «۳۸».
غاية الأمر أننا حينما نلاحظ كثرة صدور الرحمات، أو فقل: الأمور التى هى من لوازم الرحمة بزعمنا، أو بحسب تصورنا، منه تعالى؛ فإن ذلك يجعلنا ننسب إليه تعالى صفة:
رحمان، أو رحيم.

تحديد معنى الرحمان الرحيم:

و أما بالنسبة لمعنى هذين اللفظين، فإننا نقول:
قالوا: إن كلمة الرحمان، تفيد المبالغة، أى الذى يفيض الرحمة و تصدر عنه كثيرا، و من كل جهة. و معنى ذلك:

أنها وصف لا یختص بالمؤمن، بل یعم الکافر أیضا.

أنها- و الحالة هذه- إنما تناسب الحیاة الدنیا، إذ لیس للکافر منها فی الآخرة من نصیب.

و قالوا: إن کلمة "الرحیم "صفة مشبهة، أی أنها تدل علی وجود الصفة فی الموصوف بصورة ثابتة و دائمة، و معنی ذلک:

أن هذا إنما یناسب المؤمن دون الکافر، لأن المؤمن هو الذی یستحق الرحمة الدائمة.

---

(۳۸) راجع: البحار ج ۳ ص ۲۵۹ فما بعدها.

تفسیر سورة الفاتحة، ص: ۴۴

إن هذا الوصف یمتد إلی الآخرة أیضا، لیکون المؤمن مرحوما فیها. و لیناسب ذلک معنی الثبات و الدوام فیها.

و لأجل ما تقدم نجدهم یقولون: رحمان الدنیا و رحیم الآخرة.

و نحن بدورنا نقول:

إن ما ذکروه مشکوک فیه، بل اللّه سبحانه رحمان فی الدنیا و الآخرة، و رحیم فیهما معا أیضا. و قد ورد فی الحدیث الشریف":

رحمان الدنیا و الآخرة و رحیمهما «"۳۹» و قال تعالی: یَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِینَ إِلَی الرَّحْمنِ وَفْداً «۴۰» و قال سبحانه:

الْمُلْکُ یَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمنِ «۴۱» و استعملت "الرحیم "للحدیث عن رحمته تعالی فی الدنیا، قال تعالی: وَ لا تَقْتُلُوا أَنْفُسَکُمْ إِنَّ اللَّهَ کانَ بِکُمْ رَحِیماً «۴۲».

و هذا هو السر فی الترکیز علی هاتین الصفتین فی أعظم آیة فی القرآن الکریم، و ذلک لأن کلمة رحمان تساوی کلمة غضبان

---

(۳۹) امالی الشیخ الطوسی ص ۵۲۳ ط سنة ۱۴۰۱ ه مؤسسة الوفاء- بیروت.

(۴۰) سورة مریم الآیة ۸۵.

(۴۱) سورة الفرقان الآیة ۲۶.

(۴۲) سورة النساء الآیة ۲۹.

تفسیر سورة الفاتحة، ص: ۴۵

أو شبعان أو نعسان أو یقظان. و هذه الصفات بهذه الصیغة لیست من صیغ المبالغة، و إنما هی تدل علی وجود الصفة فی موصوفها علی نحو التمام و الکمال، فکلمة "غضبان "مثلا کما یقول أهل اللغة معناها الشخص الممتلئ غضبا «۴۳» أو "الذی یغضب سریعا.

و قیل: شدید الغضب «"۴۴».

فإذا کان المراد بالرحمن هو أنه عز و جل ممتلئ رحمة، فلازم ذلک أن تصدر عنه الرحمات بکثرة، فیرحم سبحانه المؤمن و الکافر، و العالم و الجاهل، و الکبیر و الصغیر، و الغنی و الفقیر، و ما إلی ذلک.

فما قاله الطبرسی و غیره ":الرحمان الرحیم: اسمان وضعا للمبالغة، و اشتقا من الرحمة و هی النعمة إلا أن فعلان أشد مبالغة من فعیل "«۴۵».

و قال ابن منظور عن کلمة رحمان ":معناه الکثرة. "و قال:

فعلان من أبنیة ما یبالغ فی وصفه «۴۶».

---

(۴۳) التبیان ج ۱ ص ۲۸ و ۲۹ و الکشاف ج ۱ ص ۴۱.

(۴۴) لسان العرب ج ۱۰ ص ۴۴۹.

(۴۵) مجمع البیان ج ۱ ص ۲۰ ط دار احیاء التراث العربی سنهٔ ۱۳۷۹ ه و لسان العرب ج ۱۲ ص ۲۳۱.

(۴۶) لسان العرب ج ۱۲ ص ۲۳۰ و ۲۱۳ و راجع کلمهٔ: کریم فی ص ۵۱۰ و ۵۱۱.

تفسیر سورهٔ الفاتحهٔ، ص: ۴۶

هـذا القول فیه نوع من التوسع، فلعل الطبرسی و غیره من المفسرین و أهل اللغهٔ، ذکروا لازم المعنی، فصوروه لنا علی أنه هو المعنی نفسه، بنوع من التوسع أو التسامح.

أما بالنسبهٔ لکلمهٔ ":الرحیم "فیمکن أن تکون للمبالغهٔ مثل علیم، بمعنی کثیر العلم. و قد تکون صفهٔ مشبهٔ لمجرد إفادهٔ ثبوت الوصف من دون أی مبالغهٔ أو تکثیر، مثل مریض، و قدیم و کبیر و صغیر.

و لکننا إذا رجعنا إلی الآیات القرآنیهٔ، فإننا نجد أنها فی الأکثر قد وردت و إلی جانبها کلمات هی: غفور، تواب، رؤوف، ودود، بر عزیز.

و هذه الصیغ إما هی للمبالغهٔ، کالأربعهٔ الأول، و هی واقعهٔ فی عشرات الآیات، أو أنها صفهٔ مشبهٔ کالکلمتین الأخیرتین، اللتین وردتا فی موارد قلیلهٔ جدا، و الصفهٔ المشبهٔ تدل علی نسبهٔ الصفهٔ للموصوف، و قیامها فیه فعلا، من دون إشارهٔ إلی معنی الحدوث .. فاقتران کلمهٔ الرحیم بصیغ المبالغهٔ یشیر إلی أنها صیغهٔ مبالغهٔ مثلها ککلمهٔ: علیم .. إذ المفروض وجود تجانس فیما بین الصفتین سوّغ للذوق أن یعقب إحداهما بالأخری. إذ لو کانت إحداهما للمبالغهٔ دون الأخری، فإن مستوی الانسجام و التجانس سوف یضعف، و سیشعر القارئ بوجود نقلهٔ غیر طبیعیهٔ، بعیدهٔ عن السهولهٔ بصورهٔ عامهٔ.

تفسیر سورهٔ الفاتحهٔ، ص: ۴۷

کما أنها حین جعلت إلی جانب الصفهٔ المشبهٔ، مثل کلمهٔ عزیز، فإنها قد استعملت صفهٔ مشبهٔ یقصد بها تمامیهٔ الصفهٔ فی موصوفها علی سبیل الثبات و الدوام، من دون إلماح إلی معنی الحدوث. فهی إلی جانب الصفهٔ المشبهٔ تکون صفهٔ مشبهٔ مثل کریم، و سقیم، و حکیم، و إلی جانب صیغهٔ المبالغهٔ تکون مثلها صیغهٔ مبالغهٔ تدل علی الامتلاء بالرحمهٔ، و یلزم من ذلک کثرهٔ صدورها منه تعالی لمن یستحقها. أو لعلها هی بنفسها أیضا من صیغ المبالغهٔ أیضا کما ذکره الطبرسی و غیره.

و لا نستبعد أنه تعالی قد جاء بکلمهٔ "رحیم "التی هی صیغهٔ مبالغهٔ علی شکل الصفهٔ المشبهٔ لیفید المعنیین معا. أی لیفید المبالغهٔ و تمامیهٔ الصفهٔ فی موصوفها لأنها علی شکل صیغ المبالغهٔ، و لیفید الدوام و الثبات لأنها علی شکل الصفهٔ المشبهٔ.

و قد اتضح مما تقدم: أن ما قالوه من أنه تعالی: رحمان فی الدنیا رحیم فی الآخرهٔ، لأن الکافر لا یستحق ثبات و دوام الرحمهٔ لتصل إلی الآخرهٔ. فتکون کلمهٔ رحیم خاصهٔ بالمؤمن. و کلمهٔ رحمن تشمل المؤمن و الکافر.

هـذا القول غیر دقیق: بل هو استنبطوه من شؤون العقیدهٔ، لا- من الدلالات اللغویهٔ لهاتین الکلمتین، فقیدوا المعنی اللغوی بالدلیل العقائدی.

تفسیر سورهٔ الفاتحهٔ، ص: ۴۸

و إنما قلنا: إنه غیر دقیق، لأن المعنی اللغوی علی النحو الذی ذکرناه لیس ناظرا إلی تلبس الرحمهٔ بهذا الشخص أو ذاک، بل هو ناظر إلی کیفیهٔ قیام الصفهٔ بموصوفها. و أن کلمهٔ الرحمان لا تدل علی کثرهٔ الرحمهٔ دلالهٔ مطابقیهٔ. بل المدلول المطابقی الأول لکلمهٔ الرحمان هو الامتلاء بالرحمهٔ. فیلزم من ذلک کثرهٔ صدور الرحمهٔ عنه للمستحق لها. فالفیض و الصدور من لوازم المعنی، خارج عنه عارض له. و کلمهٔ الرحیم، تدل علی الثبات و الدوام و الرسوخ، فالرحمان ناظرهٔ للکم، و الرحیم ناظرهٔ للکیف.

بالإضافهٔ إلی المبالغهٔ فی ذلک مثل کلمهٔ علیم.

سبب اختیار هاتین الصفتین: و هنا سؤال یقول:

لماذا اختار اللّه سبحانه هذين الوصفين فى هذه الآية الكريمة- البسملة- التى يفترض أن يرددها الإنسان فى مختلف شؤونه و حالاته، و ربما يرددها عشرات المرات فى كل يوم، ثم اعتبرت هذه الآية أعظم آية فى القرآن الكريم؟ و لم لم تذكر فى البسملة صفات أخرى، مثل: التواب، الغفور، الشافى، الكريم، الخالق، الرازق، العليم، القوى، الرؤوف، الخ؟!.

و الجواب- باختصار شديد-: إن المطلوب للإنسان فى سير حياته أن تشمله العناية الإلهية، فيستفيد من خالقيته تعالى

تفسير سورة الفاتحة، ص: ۴۹

خلقا، و من رازقيته رزقا، و من حكمته تدبيرا، و من قوته و انتقامه و جبروته حماية و رعاية، و من عزته عزا، و من كل صفاته الجمالية كمالا و جمالا، و قوة، و صحة، و شفاء، و توبة و مغفرة، الخ ..

كل هذه الأمور و سواها مآلها إلى صفة الرحمانية و الرحيمية فيه تعالى. فمن خلال الرحمة يصدر ذلك كله عن الذات الإلهية، فيرزق تعالى و يشفى، و يدبر، و يقوى، و يتوب، و يغفر، الخ ..

لكونه رحيما و رحمانا. و لا توجد أية صفة أخرى تستبطن هذه الصفات و سواها. فكلمة التواب، أو الغفور، أو الشافى، أو الرازق، الخ .. لا تقوم مقام رحمان و رحيم. أى إن كلمة التواب مثلا لا تقوم مقام الرازق أو الخالق، لأنها لا علاقة لها بالرزق، و الشفاء. و كذلك كلمة الرزاق لا تقوم مقام غيرها من الصفات، و هكذا ..

أما كلمة الرحمان الرحيم، فإنها تستدعى أن يشفيك اللّه لكونه إلهك الراحم، و أن يقويك لأنه أيضا إلهك الراحم، و أن يتوب عليك و يرزقك لكونه كذلك إلهك الراحم، و هكذا ..

فإذا دخلت من باب الرحمة، فإنه يوصلك إلى مضمون سائر الصفات، و يمكنك منها جميعا.

تفسير سورة الفاتحة، ص: ۵۰

كما أنك- من جهة أخرى- لا تريد هذه الرحمة لمرة واحدة، بل تريد دوامها، و استمرارها فى الدنيا و الآخرة، و فى كل حال و مجال.

و خلاصة الأمر: إننا ندخل من باب الرحمة إلى عالم الفيوضات الإلهية اللامحدود و الذى لا ينضب. و نحصل على كل مقتضيات سائر صفات الذات الإلهية المقدسة و على كل شيء، و نحل بذلك كافة مشاكلنا، و فى كل حين فنحصل على الرزق، و الشفاء، و الغفران، و التوبة، الخ ..

و لا توجد أية صفة أخرى سوى الرحمانية و الرحيمية قادرة على تلبية حاجات الإنسان، و تحقيق طموحاته، و تحصينه من اليأس، الخ ..

كلمة "الرحمان "علم أم صفة؟

و آخر ما نلفت النظر إليه هنا هو: أنه تعالى، قد جعل كلمة الرحمان صفة للفظ الجلالة. مع أن البعض يدعى: أنها قد أصبحت علما بالغلبة، فكيف يصح وصف العلم بالعلم؟

و نقول:

إن صيرورتها علما بالغلبة غير ظاهر، و وصف لفظ الجلالة بها دليل على أنها لا تزال صفة. و قوله تعالى: قُلِ ادْعُوا اللَّهَ

تفسير سورة الفاتحة، ص: ۵۱

تفسير سورة الفاتحة ۱۰۶

أَوِ ادْعُوا الرَّحْمنَ «۴۷» لا يدل على علميتها، لا مكان أن يدعو الإنسان اللّه و أن يدعو التواب، و الكريم، و الشافى، الخ ..

و لا تجعل الدعوة هذه الأمور علما.

و يمكن أن يقال: إنك إذا سميت رجلا ـ بكلمة "عادل "أو كريم: فإن لاحظت العلمية فيها، فلا يصح الوصف بها، و إذا لاحظت الوصفية، و أنه يملك صفة العدل صح الوصف بها.

و الحال بالنسبة لكلمة الرحمان من هذا القبيل.

---

(۴۷) سورة الإسراء، الآية ۱۱۰.

تفسير سورة الفاتحة، ص: ۵۳

تفسير قوله تعالى: الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعالَمِينَ

اشارة

تفسير سورة الفاتحة، ص: ۵۵

الحمد للّه:

اشارة

قد دلت الآية على أن الحمد كله متمحض للّه تعالى. و قبل بيان ذلك نشير إلى الفرق بين الحمد و المدح فنقول:

قالوا: إن المدح هو الثناء سواء أكان على شيء اختيارى، أو غير اختيارى، فقد تمدح الإنسان على إنقاذه الغريق، و قد تمدحه أيضا على جماله، و على طوله، مع أن الجمال و الطول هما خلقة اللّه، و ليس للإنسان فيهما أى اختيار.

و تذم بعض المخلوقات على أفعالها السيئة و على شكلها الذى تراه قبيحا أو غير متناسق، مع أن القبح ليس من اختيار الإنسان.

أما الحمد، فهو- كما يقولون-: الثناء على الفعل الجميل الاختيارى.

و نحن لا نوافق على قولهم هذا، و نقول: إن هذا الحمد الوارد فى هذه السورة و غيرها قد يكون على فعل اختيارى كفعل الخالقية، و الرازقية، و المغفرة، الخ ..

تفسير سورة الفاتحة، ص: ۵۶

و قد يكون ثناء عليه تعالى بأنه حى قيوم منزه عن الشريك، و عن النقص، و عن الصاحبة و الولد، مع أن عدم وجود شريك له تعالى ليس فعلا اختياريا له سبحانه، بل هو ليس من مقولة الفعل أصلا.

و خلاصة الأمر: إن الأفعال المشيرة إلى صفات الفعل تصدر عنه تعالى باختياره. فاللّه قوى لأنه يصدر عنه باختياره ما يشير إلى القوة، و هو رحيم، خالق، رازق، حكيم، لأنه يصدر عنه باختياره فعل يشير إلى الرحمة و الرازقية و الحكمة الخ.

فيستحق الحمد لأجل ذلك، كما يستحق الحمد لأجل أنه حى قيوم، لا شريك له، و لا نقص فيه.

اختصاص الحمد باللّه سبحانه:

و عن سبب تخصيص الحمد كله باللّه تعالى:

إن "أل "للجنس أو للاستغراق و على كلا الحالتين تفيد الاستغراق و الشمول للأفراد. و الفرق بينهما إنما هو بالاعتبار، و الإجمال و التفصيل.

أى أن حقيقة الحمد إنما يستحقها اللّه سبحانه، أو أن الذى يستحق جميع أفراد و مراتب الحمد هو اللّه سبحانه. فعلى الأول:

تكون للجنس و على الثانى: تكون للاستغراق.

تفسير سورة الفاتحة، ص: ۵۷

و السر فى ذلك هو أن البسملة قد جعلتنا نعترف بأن اللّه الذى له صفة الألوهية متصف بجميع صفات الجمال و الجلال و الكمال. فإذا أردنا أن نطلب من اللّه سبحانه أن يفيض علينا من خلال هذه الصفات: الرزق، و المغفرة، و الشفاء، و الخلق، و القوة، و الصحة .. الخ، فمفتاح ذلك كله هو الرحمة الإلهية، فلا بد من الدخول من بابها فإنه تعالى ممتلئ رحمة، و كثيرة هى رحماته بمقتضى "رحمان."

ثم لأجل استمرار الاستفادة من فيوضات الرحمة التى هى من مقتضيات صفات الألوهية لا بد من ثبات هذه الرحمة و دوامها مفيضة و منيلة، كما ألمحت إليه كلمة "الرحيم."

و بعد تقديم ذلك الاعتراف بأنه سبحانه قد أفاض علينا من كل ما تقتضيه تلك الصفات بجميع فروعها من جلالية و جمالية، أو فقل: من صفات فعل أو صفات ذات، يأتى الحمد و الثناء بمثابة اعتراف بهذه الفيوضات، لأنها هى التى دفعتنا لهذا الثناء ..

و إنما اعتبرنا أن المستحق لحقيقة الحمد، أو لكل مرتبة من مراتب الحمد و كل فرد من أفراده هو اللّه سبحانه، لأن كل ما يصل إلينا من خلال الإفاضة المباشرة مثل خلقنا. أو بالواسطة، كإحسان الوالدين لنا. و مثل ما نستفيده من الطبيعة كالأرض، و الشجر، و الشمس و النجوم. إن كل ذلك إنما ينتهى إلى اللّه سبحانه بالمباشرة أو بالواسطة.

تفسير سورة الفاتحة، ص: ۵۸

و هذا يفسر لنا إضافة "أل "الاستغراقية أو الحقيقية إلى كلمة "حمد، "فقال ":الحمد."

الحمد و الرحمة بداية و نهاية:

و الملفت للنظر هنا: أنه سبحانه تعالى قد أفهمنا أن "الرحمانية و الرحيمية "كانت هى البداية كذلك كانت هى النهاية.

حيث قال: الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعالَمِينَ. الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

أى أننا حين نجعل اسم اللّه ملابسا و ليس- فقط- مصاحبا لكل شىء، فإننا ندخل و نصل إليه من باب الرحمانية و الرحيمية، و نستمد منه كل خير. حتى إنه هو الذى يستحق الحمد الحقيقى، أو يستحقه بجميع مراتبه و أفراده. و نبقى مع هذه الرحمة حتى نصل إلى النهاية. أى أننا مع الرحمة منذ بدء خلقنا مرورا بالرازق، و المعافى، و الشافى، و المربى، وو .. و انتهاء بالتواب و الغفور ..

ثم تكون النهاية الرحمة أيضا. فلا بد أن يكون الحمد أيضا هو النهاية، كما كانت البداية هى الحمد. و هذا ما يشير إليه قوله تعالى: وَ آخِرُ دَعْواهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعالَمِينَ

إذن، فاللّه سبحانه يريد أن يهيئ الإنسان لأن ينظر إلى كل حياته، و كل آفاقها فى بداياتها و فى سيرها التكاملى، ثم فى نهايتها، نظرة شمولية، مستوعبة، و واعية و عميقة، تربط الأمور بأسبابها، ثم بنتائجها. إنه سبحانه يريد لهذا الإنسان أن يفتح عينيه على

تفسير سورة الفاتحة، ص: ۵۹

حقيقة الحياة و يسجل اعترافه المباشر بتاريخ ارتباطه باللّه سبحانه، و ارتباط الكون كله به تعالى، و برعايته سبحانه له من قبل أن يخلق، و إلى ما بعد أن يبعث و يحشر.

و الاعتراف بهذا التاريخ، و الانصياع له، و الإيمان به يوصل إلى الحمد، إذ لا يمكن أن تكون حامدا كل الحمد إذا لم تعرف و تعترف بكل ما صدر منه و عنه تعالى تجاهك، و تجاه كل المخلوقات فى هذا الكون الأرحب الذى بناه لتستفيد منه فى تكاملك فى إنسانيتك و فى مسيرتك نحو اللّه سبحانه.

و هكذا يتضح: كيف أن هذه الكلمة هى فى الحقيقة المفتاح للمعارف الاعتقادية، و هى الأساس القوى للنظرة إلى الكون و إلى الحياة، نظرة عميقة و واعية، من خلال التوحيد الخالص و الصافى.

فمن الواضح: أن أحدا لا يستطيع أن يحمد اللّه بصدق و وعى من دون أن يملك هذه النظرة: بل إن فهم الحياة و التعاطى معها لا بد أن يكون أساسه هذه النظرة بالذات، و مستندا إلى فهم الحمد بهذه الطريقة.

فكلمة الحمد إذن كبيرة جدا بحجم هذا الكون، بل هى أكبر من الكون و من الإنسان. إنها بحجم الفيوضات الإلهية على كل الموجودات و المخلوقات. و لا سيما الذى يعنيك منها،

تفسير سورة الفاتحة، ص: ۶۰

و تستفيد منه، و تتفاعل معه. إنها بحجم العقيدة التوحيدية، بل بحجم كل الصفات الإلهية الجلالية منها أو الجمالية.

إذن فليس من قبيل الصدفة أن تكون أول كلمة- بعد البسملة- فى السبع المثانى، التى لا بد أن تقرأ مرات فى الصلاة فى كل يوم هى كلمة "الحمد؛ "إنه أراد لنا أن ندخل من باب الحمد، إلى كل الحقيقة المنبسطة على هذا الوجود. مدركين حجم الارتباط باللّه، و نوع، و كيفية التعاطى معه سبحانه و تعالى.

له الحمد فى الأولى و الآخرة:

اشارة

اشارة

و من أجل توضيح بعض ما ذكرناه آنفا نعود، فنقول:

قد تكلم اللّه سبحانه عن الحمد فى عدة آيات قرآنية، منها قوله تعالى: لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولى وَ الْآخِرَةِ «۴۸». فما هو المقصود بالأولى، و ما و المقصود بالآخرة؟!.

و هل هذا ينسجم مع ما ذكرناه من معنى الحمد؟! و ارتباطه بآية البسملة؟! .. و كيف نربط أيضا بين ذلك و بين قوله: وَ آخِرُ دَعْواهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعالَمِينَ «۴۹»؟!

---

(۴۸) سورة القصص، الآية ۷۰.

(۴۹) سورة يونس، الآية ۱۰.

تفسير سورة الفاتحة، ص: ۶۱

و هل صحيح ما يقولونه: من أن الحمد لا بد أن يكون على فعل اختيارى؟!.

إننا فى مقام الإجابة على هذه الأسئلة نقول: إن صفات الألوهية؛ تقتضى نفى كل نقص عن الذات، و عن الأفعال، و المدخل لنا إلى هذه الصفات هو الرحمة الإلهية. و الحمد إنما يأتى كنتيجة للاستفادة من هذه الصفات.

فنستفيد منها فى الخلق الْحَمْدُ لِلَّهِ فاطِرِ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ جاعِلِ الْمَلائِكَةِ رُسُلًا .. «۵۰».

و فى الهداية: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِی هَدانا «۵۱».

و فى التفضيل: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِی فَضَّلَنا «۵۲».

و فى العلم الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِی أَنْزَلَ عَلى عَبْدِهِ الْكِتابَ «۵۳».

و فى النجاة الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِی نَجَّانا «۵۴».

---

(۵۰) سورة فاطر، الآية ۱.

(۵۱) سورة الأعراف، الآية ۴۳.

(۵۲) سورة النمل، الآية ۱۵.

(۵۳) سورة الكهف، الآية ۱.

(۵۴) سورة المؤمنون، الآية ۲۸.

تفسير سورة الفاتحة، ص: ۶۲

و فى العافية الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ «۵۵».

و فى الملك الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى لَهُ ما فِى السَّماواتِ وَ ما فِى الْأَرْضِ «۵۶».

بل و قبل كل شئ فى التوحيد و نفى الشريك الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَداً وَ لَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِى الْمُلْكِ «۵۷».

فالحمد فى الآية الأخيرة ليس على أمر اختيارى لأن عدم الشريك ليس فعلا له تعالى. فتخصيص الحمد بالفعل الاختيارى يصبح غير دقيق.

و من جهة أخرى، فإن الحمد بعد كل هذا يصبح بمثابة الدليل القاطع على تحقق ذلك كله من موقع الفيض الإلهى، و هو أيضا تتويج لكل مسيرة التكامل الإنسانى الكادح إلى اللّه سبحانه.

فالحمد هو البداية، التى تفتتح بالفيوضات الإلهية لأصل الخلق و الوجود، و كل النعم فى الحياة الأولى التى هى الدنيا. و تستمر هذه الألطاف و الفيوضات إلى الآخرة أيضا، التى هى الحياة

---

(۵۵) سورة فاطر الآية ۳۴.

(۵۶) سورة الإنعام، الآية ۱.

(۵۷) سورة الإسراء، الآية ۱۱۱.

تفسير سورة الفاتحة، ص: ۶۳

الحقيقية. كما قال تعالى: وَ إِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوانُ لَوْ كانُوا يَعْلَمُونَ «۵۸».

فيصل الإنسان إلى اللّه و يعرفه، من خلال إحساسه بنعمه و تفضلاته عليه و فيوضاته المتلاحقة و الغامرة. فيبحث عنه، و يعرفه ليقف موقف العرفان، لأن معرفته تعالى عن طريق الإحساس بالنعمة، تكون أعمق و أدق و أكثر تأثيرا من معرفته عن طريق الاستدلال الفلسفى، العقلى، النظرى، لأن هذه المعرفة حسية، ثم تترقى لتصبح وجدانية، ثم فطرية، يتفاعل معها بأعماقه، و بكل أحاسيسه و مشاعره و بفطرته. ثم هو يبادر إلى الثناء على هذا المنعم، و بعد ذلك يبادر إلى شكره، و الوقوف فى موقع الطاعة و الانقياد.

و هذا هو معنى وجوب شكر المنعم الذى دل عليه القرآن:

أَنِ اشْكُرْ لِي وَ لِوالِدَيْكَ «۵۹»، اعْمَلُوا آلَ داوُدَ شُكْراً وَ قَلِيلٌ مِنْ عِبادِيَ الشَّكُورُ «۶۰».

---

(۵۸) سورة العنكبوت، الآية ۶۴.

(۵۹) سورة لقمان، الآية ۱۴.

(۶۰) سورة سبأ، الآية ۱۳.

تفسير سورة الفاتحة، ص: ۶۴

و تستمر المسيرة فى هذا الحمد إلى الحياة الأخرى لتكون:

آخِرُ دَعْواهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعالَمِینَ لما شهدوه و یشهدونه من تربیة و رعایة إلهیة مستمرة و متلاحقة.
و کل ذلک یفسر لنا أیضا: السبب فی کون کلمة الحمد هی أول کلمة بعد البسملة فی سورة الحمد، و السبع المثانی.
و یتضح من ثم أن الآیة منسجمة تمام الانسجام، و لا مجال لأی توهم أو اعتراض.

لماذا لم یقل الحمد لرب العالمین:

و أما لماذا لم یقل: الحمد لرب العالمین. بل قال: الحمد للّه رب العالمین. فلعله لأنه یرید منا أن نتعامل معه، و أن نرتبط به سبحانه بما هو مستجمع لصفات الجمال و الجلال، صفات الفعل، و صفات الذات، ثم یتبع ذلک بالتنصیص علی صفة المربی لتکون هذه التربیة هی المبرر لمبادرتنا إلی حمده بما له من صفات الألوهیة الکاملة و المطلقة.
و ذلک لأنه تعالی إنما تعامل مع هذا الوجود کله من موقع ألوهیته له و لکل المخلوقات. و قد جاءت صفات الفعل، مثل:
المربی، و الخالق، و الرازق، و الرؤوف، و الرحیم، و القوی، ..
الخ، لتجسد هذا التعامل.
تفسیر سورة الفاتحة، ص: ۶۵

لماذا الحمد؟!:

و نحن إنما نحمده من موقع العرفان بالفضل، الذی یقتضی الشکر للمنعم، لأن الإنسان حین یرید أن یتعامل مع اللّه سبحانه لا بد أن یعرفه أولا. و أعمق درجات المعرفة هی المعرفة الوجدانیة. و أعمقها و أشدها تأثیرا هی تلک الناشئة من إحساس الإنسان بالنعمة التی تستلزم معرفة المنعم و المحسن، بدرجة من درجات المعرفة.
و هذا هو الشیء الذی یتعاطی معه الإنسان بوجدانیة و واقعیة أکثر و أعمق. حیث تتناغم المعرفة الحسیة فی مستواها الدانی مع ما هو أرقی و أسمی منها و هی المعرفة الوجدانیة و الضمیریة و الفطریة، التی هی أبعد أثرا من المعرفة التصوریة الفکریة، التی هی علی حد المعادلات الریاضیة، أو العقلیة الفلسفیة، أو حتی الأمور الغیبیة الصرف.
إذ أن الغیب هذا إنما یدخل إلیه الإنسان من خلال الحس الوجدانی، من حیث ملامسته و مساسه بوجوده، و بحیاته و مستقبله.

لغة القرآن فی التربیة العقائدیة:

و لأجل هذه الحقیقة الآنفة الذکر نلاحظ: أن اللّه سبحانه فی قرآنه الکریم لم یتکلم عن التوحید، و عن اللّه، و عن الآخرة،
تفسیر سورة الفاتحة، ص: ۶۶
و عن سائر الاعتقادات بمصطلحات فلسفیة أو مقتبسة من علم المنطق أو غیره. و إنما دخل إلی الأمور الاعتقادیة من باب لغة الحیاة، حیث ربطها بصورة مباشرة بالشأن الحیاتی العملی المتجسد و الملموس. لتستقر هذه الاعتقادات فی القلب من خلال الإحساس، و الشعور المباشر و العمیق. و لتتخذ موقعها القیادی و المحرک فی هذا القلب.
فمثلا، تحدث اللّه عن التوحید و ربطه باللیل، من موقع کونه سکنا لهم، ثم ربطه بالنهار، من موقع کونه مناسبا للابتغاء من فضل اللّه سبحانه ثم ربط کلا الأمرین بالرحمة الغامرة، التی تعمل علی توفیر الأجواء الحیاتیة الملائمة للسعی نحو التکامل باستمرار.
قال تعالی: قُلْ أَ رَأَیْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَیْکُمُ اللَّیْلَ سَرْمَداً إِلی یَوْمِ الْقِیامَةِ، مَنْ إِلهٌ غَیْرُ اللَّهِ یَأْتِیکُمْ بِضِیاءٍ أَ فَلا تَسْمَعُونَ
قُلْ أَ رَأَیْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَیْکُمُ النَّهارَ سَرْمَداً إِلی یَوْمِ الْقِیامَةِ، مَنْ إِلهٌ غَیْرُ اللَّهِ یَأْتِیکُمْ بِلَیْلٍ تَسْکُنُونَ فِیهِ، أَ فَلا تُبْصِرُونَ
تفسیر سورة الفاتحة، ص: ۶۷

وَ مِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَکَمُ اللَّیْلَ وَ النَّهارَ لِتَسْکُنُوا فِیهِ وَ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَ لَعَلَّکَمْ تَشْکُرُونَ «۶۱».

فاللّه سبحانه قد تحدث إذن عن التوحید بما له مساس بواقع الإنسان الذی یعیشه و یحس به، و یتفاعل معه بمشاعره و أحاسیسه لا بطریقهٔ تجریدیهٔ و نظریهٔ أو بصورهٔ طرح معادلات فکریهٔ جافهٔ.

و فی سورهٔ الحمد یرید تعالی أن یطرح قضیهٔ التوحید من موقع التعریف بصفاته تعالی، و الإحساس المباشر بآثار تلک الصفات، ثم سوق هذا الإنسان للإحساس بمدی تأثیره تعالی فی کل جهات الحیاهٔ، و فی جمیع مفرداتها، و فی کل الموجودات فی هذا الکون الرحیب، مع الحرص الأکید علی أن یخرجه عن أن یبقی مجرد أمر تصوری، تجریدی و نظری؛ لیصبح شأنا حیاتیا حیا مؤثرا، یفهمه الإنسان، و یتلمسه بوجدانه، و یتحسسه بمشاعره، من خلال إحساسه بالنعمهٔ الغامرهٔ، و بالعطاء، و بآثار الرحمهٔ، و العلم و الغفران، و الحکمهٔ الإلهیهٔ، و غیر ذلک من صفاته تعالی.

التی یتلمس الإنسان آثارها فی کل آن علی مدار اللحظات، فضلا عن الساعات، فی نفسه، و فی کل ما یحیط به، و فی کل الموجودات.

---

(۶۱) سورهٔ القصص، الآیات ۷۱ و ۷۲ و ۷۳.

تفسیر سورهٔ الفاتحهٔ، ص: ۶۸

التسبیح بحمد اللّه تعالی:

و فی سیاق آخر نقول: إننا نجد اللّه سبحانه یقول:

فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّکَ «۶۲». و نحن مأمورون بأن نقول فی صلواتنا فی کل رکوع: سبحان ربی العظیم و بحمده، و فی کل سجود: سبحان ربی الأعلی و بحمده. و قد اعتبر الشارع هذه الصیغهٔ:

تسبیحهٔ کبیرهٔ. فإذا أردنا أن نتجاوزها، فلا یعوض عنها إلا ثلاث تسبیحات: سبحان اللّه، سبحان اللّه، سبحان اللّه. و اعتبر کلمهٔ سبحان اللّه تسبیحهٔ صغیرهٔ بالنسبهٔ لتلک التسبیحهٔ الکبیرهٔ.

و هنا العدید من الأسئلهٔ:

اشارهٔ

ما معنی هذا التسبیح؟!

و ما هو الرابط بین التسبیح و الحمد؟!

و لماذا کانت تلک تسبیحهٔ کبیرهٔ، و الأخری صغیرهٔ؟!

و لماذا لا یقوم إلا ثلاث تسبیحات صغار مقام تلک الکبیرهٔ فلا یکفی تسبیحتان مثلا؟!

---

(۶۲) سورهٔ النصر الآیهٔ ۳. و سورهٔ الحجر الآیهٔ ۹۸.

تفسیر سورهٔ الفاتحهٔ، ص: ۶۹

و نقول فی الجواب:

التسبیح هو تنزیه اللّه تعالی عن کل شائبهٔ: سواء أکانت من الأفعال الاختیاریهٔ: کتنزیهه عن البخل، و عن الظلم، و عن القسوهٔ. أو کانت غیر اختیاریهٔ کتنزیهه عن الضعف، و الحاجهٔ، و الغفلهٔ، و النسیان، و غیر ذلک من أمور تعود إلی الذات. و کتنزیهه عن أمور خارجهٔ عن ذاته سبحانه، مثل الشریک، و الولد، و الصاحبهٔ، و ما إلی ذلک.

و تقدم أن الرحمهٔ هی المدخل إلی الاستفادهٔ من الفیوضات التی تقتضیها کل صفات الذات الإلهیهٔ، لیسعد هذا الإنسان بإنسانیته، و سیره التکاملی نحو اللّه تعالی. و بسبب شمولیهٔ هذه الفیوضات و استیعابها لکل الحیاهٔ و للکون بأسره، فقد استحق اللّه دون غیره حقیقهٔ الحمد (إن کانت أل هی الجنسیهٔ) أو جمیع أفراد الحمد، إن کانت أل للاستغراق.

و سوف نری: أنه تعالی إذا کان یحمد من حیث ربوبیته الملازمهٔ للرعایهٔ و التربیهٔ، فمعنی ذلک هو شمولیهٔ الحمد و استغراقه، و ذلک لأن شمولیهٔ آثار الصفات سوف تتسع لتستوعب کل ما له تأثیر فی هذه الرعایهٔ؛ فالحکمهٔ، و العطف، و العلم الدقیق بخصائص الکون و الإنسان، و بما یصلح و بما یفسد، و الرحمهٔ، و الغنی، و الکرم، و القدرهٔ، و القیومیهٔ الدائمهٔ، و والخ .. کل ذلک دخیل فی هذه الرعایهٔ و التربیهٔ، و مؤثر فیها.

تفسیر سورهٔ الفاتحهٔ، ص: ۷۰

فالفیض الإلهی لکل ما تقتضیه التربیهٔ لهذا الإنسان، و الشعور بهذا الفیض یستدعی الحمد، و الثناء. ثم الشکر، لهذا المنعم، و التزام کل ما یرضیه.

و من الواضح: أننا حین نرید تنزیهه تعالی: نقول:

سبحان اللّه. أی أنزه اللّه و أبعده عن کل شائبهٔ، فقد یقال: هذا مجرد کلام لیس له ما یثبته.

فإذا سبحت اللّه بواسطهٔ الحمد، و نسبت التسبیح لک شخصیا، و قررت أن هذا التسبیح و التنزیه إنما هو للّه بعنوان کونه ربا أی راعیا و مربیا، فإن الأمر یصبح مختلفا تماما عن قولک: سبحان اللّه فقط، و یکون هذا هو الإثبات المطلوب.

و ذلک لأن الحمد یکشف عن: أن اللّه سبحانه قد اتصف بصفهٔ حسن ثابتهٔ فیه استحق الحمد لأجلها، ککونه لیس له شریک، و لا ولد و لا صاحبهٔ، و لا مکان، لا ینسی، و لا یسهو، و لأنه عالم حی قیوم قادر غنی، الخ .. کما انه یعنی أنه تعالی قد صدرت عنه أفعال اختیاریهٔ استحق لأجلها الثناء و الحمد، هی کل ما فی هذا الکون من نعم نستفید منها مباشرهٔ أو بالواسطهٔ «۶۳» کالخلق، و الرزق، و الرحمهٔ و الرأفهٔ، و الشفاء،

---

(۶۳) حتی فی مثل الطبیب الذی یشفیک بقدرهٔ اللّه، و الکریم و الهادی الذی یعطیک و یهدیک مما أنعم اللّه به علیه، و بهدایهٔ اللّه و توفیقه، و إذنه و إرادته.

تفسیر سورهٔ الفاتحهٔ، ص: ۷۱

و القیومیهٔ، الخ .. فانتزعنا من هذه الأفعال الاختیاریهٔ صفات جمال و أضفناها إلی ذاته المقدسهٔ: کالخالق و الشافی و العالم، و القادر الخ .. فالحمد إذن ینتهی إلیه. قال تعالی: لَهُ الْحَمْدُ فِی الْأُولی وَ الْآخِرَةِ وَ لَهُ الْحُکْمُ وَ إِلَیْهِ تُرْجَعُونَ «۶۴».

فإذا سبحت اللّه بالحمد فإنک لم تنف النقص بالقول و حسب، بل جئت بما یدل علی انتفاء ذلک النقص عملیا. لأن حمدک هذا یدل علی صدور فعل اختیاری عنه تعالی قد تجسد فی الخارج، بل إن ذلک یدل علی أزید من نفی النقص، و أزید من الکمال.

و توضیح ذلک: أنه قد یکون شخص مستجمعا لکل الصفات البشریهٔ کالعینین و الأذنین و الیدین و الرجلین و العقل الخ ..

فهو إذن کامل لا نقص فیه. و قد یکون شخص فیه مما یزید علی هذا الکمال، ککونه جمیل الصورهٔ، أو أنه عالم. أو قوی، أو کریم، أو نحو ذلک.

و الأمر بالنسبهٔ للذات الإلهیهٔ من هذا القبیل، فإن نفی النقص یستبطن إثبات الکمال، و هذا مرتبهٔ أولی، ثم یکون إثبات صفات زائدهٔ

على الكمال مرتبة ثانية، فإذا حمدته تعالى فإنك تكون أثبت له الكمال بنزاهته عن النقص بالدليل و تكون أيضا

(۶۴) سورة القصص، الآية ۷۰.

تفسير سورة الفاتحة، ص: ۷۲

قد أثبت صفة إضافية بالدليل أيضا. من حيث أن حمدك يستبطن تأثير تلك الصفة و تجسد أثرها على صفحة الواقع. فإذا أثبت الربوبية فقد جئت بدليل آخر يفيد انبساط تلك الآثار على كل وجود، و كل ما فى هذا الكون الفسيح. مما يعنى تنوع تلك الصفات التى أثرت هذه الآثار المتنوعة و المستوعبة لكل جهات وجودك.

ثم نسبت المربوبية إلى نفسك كفرد (ربى)، لتؤكد على أن هذا التنزيه و الحمد هو منك على الحقيقة، لأن التربية كانت تتوخّى شخصك مباشرة، و ليست أمرا بعيدا عنك قد استهدف الحياة فى مجالها العام.

و خلاصة الأمر: إن التسبيح بالحمد يكون تنزيها مستدلا عليه بالدليل الحسى، لأن الحمد يدل التزاما على أن صفات اللّه سبحانه قد تجسدت بآثارها، و أصبحت واقعا حيا، و فعلا اختياريا يستحق الحمد و الثناء. فالدليل على نزاهة اللّه من النقص هو هذا الكمال المتجسد، و هو الرازقية و الخالقية، و الشفاء و العطاء و الرأفة الفعلية.

فلم يعد الكمال مجرد دعوى، و إنشاء كلامى.

تفسير سورة الفاتحة، ص: ۷۳

و قد تكرر التسبيح بالحمد فى كثير من الآيات: مثل قوله تعالى: فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ «۶۵»، وَ إِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ «۶۶»، و غير ذلك.

و ذلك كله يفسر لنا سرّ ترديدنا فى صلاتنا: سبحان ربى العظيم و بحمده.

لماذا تسبيحة كبيرة:

أما لماذا كانت هذه تسبيحة كبيرة تعادلها ثلاث تسبيحات صغار هى: سبحان اللّه- ثلاثا- فلعله لأجل: أن التسبيحة الكبيرة تضمنت ثلاثة تنزيهات للّه تعالى:

التنزيه الأول: هو ما تضمنته كلمة "سبحانه "من إنشاء للتنزيه و تفوه به.

التنزيه الثانى: أنها نسبت التنزيه لكلمة "رب "التى تلمح إلى دليل ذلك التنزيه و هو التربية و الرعاية الإلهية، التى تحتاج فى تحققها إلى العديد من الفيوضات و العنايات المستندة إلى صفات إلهية جمالية و جلالية متنوعة و كثيرة، كالعلم، و الحكمة، و الرحمة، و القوة و الغنى، و الحياة، و القيومية و غير ذلك. و هذا

(۶۵) سورة النصر، الآية ۳.

(۶۶) سورة الإسراء، الآية ۴۴.

تفسير سورة الفاتحة، ص: ۷۴

التنزيه أشد من التنزيه بمجرد نفى النقص، لأن إثبات تلك الصفات معناه إثبات شىء زائد على الكمال أيضا.

ثم نسبت هذه التربية إلى نفسك "ربى "لتؤكد على أن شخصك هو المعنى بهذا التنزيه، لأنه كان المعنى مباشرة بالتربية.

ثم جاء وصف اللّه بالعظيم ليؤكد على ثبوت تلك الصفات له تعالى بصورة أتم و أعلى، أوجبت وصفه بالعظمة.

التنزيه الثالث: قوله: و بحمده. أى و أسبح بواسطة الحمد. حيث إنها تماما مثل كلمة "رب "قد أظهرت: أنه تعالى قد فعل تجاهك

باختياره ما هو جميل و حسن، صادر عن صفة جمال أو كمال ثابتة فيه تعالى. مما دعاك إلى إنشاء هذا الحمد و الثناء.

فإثبات صفة الكمال أيضا بالحمد قد نزه اللّه عن النقص، و أثبت أمرا زائدا على الكمال و هو ما يوجب جمالا أيضا.

فهذه التنزيهات الثلاثة تصبح أقوى في الدلالة على التنزيه من كلمة سبحان اللّه، مجردة، فكانت تلك تسبيحة كبيرة، تعادل ثلاثة تسبيحات صغيرة، بل و تزيد عليها. لأنها دعوى للشيء مع دليله، و تثبت ما هو فوق التنزيه عن الشريك و عن النقص و غير ذلك، و لا سيما بملاحظة ما توحي به كلمة "العظيم."

تفسير سورة الفاتحة، ص: ۷۵

شمولية كلمة: رب

و أخيرا، فإن "رب: "كلمة تستبطن جميع أسماء الفعل للذات الإلهية المقدسة، لأن ربوبيته تعالى من موقع تدبيره. و هو يقتضي أن يكون حكيما، عليما، قادرا، خالقا، شافيا، الخ ..

العالمين:

اشارة

العالمون: جمع لا واحد له من لفظه و ليس جمع عالم، كما زعم بعضهم. بدليل: أنهم قالوا: إن جمع المذكر السالم هو ما كان جمعا لمذكر عاقل. و العالم ليس مذكرا و لا عاقلا، فليس العالمون جمعا له، و إن كان قد جاء على صورة الجمع فألحقوه به في الإعراب إلحاقا. قال ابن مالك في ألفيته، عن جمع المذكر السالم و إلحاق بعض الألفاظ به:

و ارفع بواو و بيا اجرر و انصبسالم جمع عامر و مذنب

و شبه ذين و به عشروناو بابه الحق و الأهلونا

أولوا و عالمون عليوناو أرضون شذ و السنونا

أضف إلى ما تقدم: أن كلمة "عالم "يراد بها كل هذا الوجود بما فيه، فإذا أردت أن تجمعها، فلا بد من تقسيمها إلى أشياء صغيرة، كعالم النبات و عالم الجماد، و عالم الحيوانات و عالم ..

ثم تجمع هذه الأشياء، و مع ذلك فإن الجمع لن يتجاوز مفرده في شموليته، لأن المفرد يشمل كل شيء في الوجود، و الجمع-

تفسير سورة الفاتحة، ص: ۷۶

و الحالة هذه- قد لا يشمل كل شيء. فيكون الجمع أخص من المفرد أحيانا، أو مساويا له على أبعد تقدير، و كلاهما لا يصح.

ما المقصود بالعالمين:

اشارة

و هنا سؤال؛ و هو:

هل المقصود بالعالمين هو كل الموجودات و المخلوقات؟ أم المقصود نوع خاص منها؟

و هل تشمل الجن و الملائكة. بل و حتى سائر الموجودات الأخرى، على فرض أن لها درجة من الشعور و الإدراك؟ أم لا تشمل شيئا من ذلك؟

و نقول:

هنا جوابان، الأول منهما يصلح مقدمة للجواب الثانى، و هما:

أولا: التربية للعالمين:

اشارة

إن المقصود بالعـالمين معنى يتنـاسب مع أمر التربيـة، و الانتقال من حالـة النقص إلى حالـة الكمال، إذ لا يمكن تربيـة ما يفقـد القابلية للتحول و الرقى و الانتقال. و قد دلت الآيات على أن الجمادات، بل جميع الموجودات أيضا، لها درجة من الشعور،

تفسير سورة الفاتحة، ص: ۷۷

و الإدراك، بحيث تستطيع تسبيح اللّه؛ قال تعالى: وَ إِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ، وَ لكِنْ لا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ «۶۷».

و قال: يُسَبِّحُ لِلَّهِ ما فِي السَّماواتِ، وَ ما فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَ لَهُ الْحَمْدُ «۶۸».

و لم يقل: يسبح من. فإن "ما "تستعمل لغير العاقل.

و كلمة "من "للعاقل.

و قال تعالى: إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمانَةَ عَلَى السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ الْجِبالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَها وَ أَشْفَقْنَ مِنْها وَ حَمَلَهَا الْإِنْسانُ إِنَّهُ كانَ ظَلُوماً جَهُولًا «۶۹».

وثمة آيات عن سجود الموجودات. و هى كثيرة «۷۰».

وثمـة آيات تحـدثت عن دور عاقل للنملـة، و للهدهـد، و تجلى اللّه للجبل، فجعله دكا. و خشوع الجبل و تصدعه من خشيـة اللّه و غير ذلك.

---

(۶۷) سورة الإسراء، الآية ۴۴.

(۶۸) سورة التغابن، الآية ۱.

(۶۹) سورة الأحزاب الآية ۷۲.

(۷۰) سورة النحل، الآية ۴۹. و سورة الرحمان، الآية ۶.

تفسير سورة الفاتحة، ص: ۷۸

و قـد نلمـح فى القرآن أن جميع الكائنات قابلـة للتربيـة و للتكامل، حيث أشار القرآن الكريم فى آيات كثيرة إلى ربوبيـة و رعايـة اللّه تعالى للجمادات أيضا.

قال تعالى: رَبُّ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ ما بَيْنَهُما* «۷۱» رَبُّ الْمَشْرِقِ وَ الْمَغْرِبِ* «۷۲» و رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ* «۷۳».

و غير ذلك من آيات كثيرة قررت هذه الربوبية.

إلا أن يقال: إن ربوبية كل شيء و تكامله إنما هو بحسبه، و من خلال ما يملك من معطيات.

أو يقال: المراد بالرب هنا الإله.

و نقول: إن هذا الاحتمال الأخير يحتاج إلى ما يثبته.

و نشير هنا إلى أمرين:

الأول: سجود المخلوقات و تسبیحها لیس تکوینیا.

و قد حاول البعض أن یقول: إن هذا التسبیح إنما هو من حیث أن وجودها و عجیب خلقتها فیه تنزیه للّه سبحانه عن کل نقص، و عن الشریک و غیر ذلک، فهی تسبحه تعالی بلسان التکوین. و تسجد له بمعنی تخضع له تکوینا أیضا .. و عرض

---

(۷۱) سورة ص الآیة ۶۶. و سورة الصافات الآیة ۵.

(۷۲) سورة المزمل، الآیة ۹.

(۷۳) سورة المؤمنون، الآیة ۸۶.

تفسیر سورة الفاتحة، ص: ۷۹

الأمانة إنما هو تصویر رمزی لعدم قدرة هذه الموجودات تکوینا أیضا.

و نقول:

إن هذا التوجیه غیر صحیح، فإن قوله تعالی: وَ لکِنْ لا تَفْقَهُونَ تَسْبِیحَهُمْ، یدفعه و ینافیه، إذ أن هذا التفسیر معناه:

أننا نفقه تسبیحهم؟!

و کون السجود بمعنی الخضوع التکوینی فقط، ینافیه قوله تعالی: أَ لَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ یَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِی السَّماواتِ وَ مَنْ فِی الْأَرْضِ، وَ الشَّمْسُ وَ الْقَمَرُ وَ النُّجُومُ وَ الْجِبالُ وَ الشَّجَرُ وَ الدَّوَابُّ وَ کَثِیرٌ مِنَ النَّاسِ وَ کَثِیرٌ حَقَّ عَلَیْهِ الْعَذابُ وَ مَنْ یُهِنِ اللَّهُ فَما لَهُ مِنْ مُکْرِمٍ، إِنَّ اللَّهَ یَفْعَلُ ما یَشاءُ «۷۴».

فقوله ":و کثیر من الناس "دلیل علی أن المراد بالسجود لیس هو الخضوع و الانقیاد التکوینی. فإن الناس جمیعهم یخضعون تکوینا له تعالی.

و آیة الأمانة أیضا لا یصح تفسیرها بما ذکر، لأنه تعالی یقول ":و أشفقن منها "و الإشفاق، إنما هو انفعال نفسانی خاص، و لیس خضوعا تکوینیا.

---

(۷۴) سورة الحج، الآیة ۱۸.

تفسیر سورة الفاتحة، ص: ۸۰

إذن فنحن أمام حقیقة قرآنیة هی: أن جمیع المخلوقات لهد درجة من الشعور و الإدراک، بحیث تسبح اللّه، و تسجد له، و تشفق من بعض الأمور، و تقبل و ترد بالاختیار و الإرادة. و لکن کیف یتم ذلک!! هذا ما لا نعلمه، و قد لا یتسنی لنا العلم به و بحقیقته و کنهه، و مستویاته.

الثانی: تکامل الإدراک و الشعور و مستواه:

و یبقی أمامنا سؤالان: الأول: عن مستوی و درجة شعور و إدراک الموجودات، من الجماد و النبات، و غیرهما.

الثانی: هل هذا الإدراک و الشعور فیه قابلیة النمو و التحول. أم أنه مقفل و محدود فی هذه الناحیة؟

و الجواب علی کلا السؤالین هو: أننا لا نملک الکثیر من المعطیات التی تجعلنا قادرین علی إعطاء إجابة قاطعة فی هذا المجال.

بل إن أکثر ما نعرفه فی هذا المجال، هو نفس ما حدثنا عنه القرآن الکریم، و نبی الإسلام العظیم. و لأجل ذلک فنحن لا نتشجع کثیرا

للبحث فی هـذا الأمر، لأننا غیر قادرین علی إغنائه بالشواهـد و الـدلائل التی نتجاوز من خلالها حدود المعارف التی رآنا اللّه أهلا لأن یخاطبنا بها فی آیاته الکریمهٔ، و علی لسان نبیه العظیم.

و لم یذکر لنا أکثر من کونها لها درجهٔ من الشعور، و أنه تعالی رب لکل شیء أما کیف؟ و إلی أی مستوی؟ و أی حد؟ فذلک ما لم یفصح لنا عنه القرآن الکریم.

تفسیر سورهٔ الفاتحهٔ، ص: ۸۱

ثانیا: العالمون خاص بالبشر:

اشارهٔ

إننا إذا تتبعنا الآیات القرآنیهٔ نجد: أن کلمهٔ العالمین تستعمل غالبا فی خصوص البشر العقلاء، کقوله تعالی:

وَ اصْطَفاکِ عَلی نِساءِ الْعالَمِینَ «۷۵».

وَ أَنِّی فَضَّلْتُکُمْ عَلَی الْعالَمِینَ «۷۶».

صُدُورِ الْعالَمِینَ «۷۷».

إِنَّ اللَّهَ اصْطَفی آدَمَ وَ نُوحاً، وَ آلَ إِبْراهِیمَ، وَ آلَ عِمْرانَ عَلَی الْعالَمِینَ «۷۸».

وَ مَا اللَّهُ یُرِیدُ ظُلْماً لِلْعالَمِینَ «۷۹».

ذِکْری لِلْعالَمِینَ «۸۰».

أَ وَ لَمْ نَنْهَکَ عَنِ الْعالَمِینَ «۸۱».

---

(۷۵) سورهٔ آل عمران، الآیهٔ ۴۲.

(۷۶) سورهٔ البقرهٔ، الآیهٔ ۴۷.

(۷۷) سورهٔ العنکبوت، الآیهٔ ۱۰.

(۷۸) سورهٔ آل عمران، الآیهٔ ۳۳.

(۷۹) سورهٔ آل عمران، الآیهٔ ۱۰۸.

(۸۰) سورهٔ الأنعام، الآیهٔ ۹۰.

(۸۱) سورهٔ الحجر، الآیهٔ ۷۰.

تفسیر سورهٔ الفاتحهٔ، ص: ۸۲

آیَةً لِلْعالَمِینَ «۸۲»

ما لَمْ یُؤْتِ أَحَداً مِنَ الْعالَمِینَ «۸۳».

لا أُعَذِّبُهُ أَحَداً مِنَ الْعالَمِینَ «۸۴».

و موارد کثیرهٔ أخری ظاهرهٔ فی ان المقصود بالعالمین هم البشر، لقرائن فیها، مثل کونها مجتمعات فیها نساء، أو ظلم، أو تعذیب، أو ذکر، أو نحو ذلک.

استدلال لا يصح:

أما قوله تعالى؛ حكاية لقول فرعون و موسى عليه السّلام قالَ فِرْعَوْنُ: وَ ما رَبُّ الْعالَمِينَ قالَ رَبُّ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ، وَ ما بَيْنَهُمَا «۸۵». و كذا قوله تعالى: فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّماواتِ وَ رَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعالَمِينَ «۸۶». فقد تخيّل بعضهم: أن المقصود بالعالمين فى هذه الآية هو ما يشمل السماء و الأرض، فتكون لغير العاقل. و لعله لأنه رأى أنها بدل مما قبلها.

---

(۸۲) سورة الأنبياء، الآية ۹۱.

(۸۳) سورة المائدة، الآية ۲۰.

(۸۴) سورة المائدة، الآية ۱۱۵.

(۸۵) سورة الشعراء، الآية ۲۳.

(۸۶) سورة الجاثية، الآية ۳۶.

تفسير سورة الفاتحة، ص: ۸۳

و قد أكد هذا الأمر فرعون باستعماله كلمة "ما "التى تستعمل بالأصل فى غير العاقل.

و نقول: إنه تخيّل باطل، فأما بالنسبة لكلام فرعون، فهو يريد أن يوهّن و يحقّر مقام الربوبية الذى يتحدّث عنه موسى، و يظهر للناس أنه رب غير عاقل، و لا يصلح لأجل ذلك للربوبية، ليثبت للناس: أنه هو ربهم الأعلى.

و أما كون كلمة ":رب العالمين "بدلا مما قبلها، فذلك لا يضر، ما دام انه يمكن أن يكون موسى عليه السّلام قد أراد التعبير عن هذا الرب بذكر ميزات عديدة له ليدفع أى لبس أو اشتباه، فذكر ربوبيته للسماء و الأرض، و للعقلاء أيضا- و هم العالمون- فليست الآية بصدد إجمال ما تقدم بجميع خصوصياته.

ربى أم رب العالمين:

و أما لماذا لم يقل: الحمد للّه ربى، أو ربنا. بل قال: رب العالمين، فلأنه تعالى يريد منا: أن نحيا حياة اجتماعية و يعين بعضنا فى مسيرتنا نحو الكمال، إذ لا يكفى التكامل الفردى و الشخصى، فيكون الناس أفرادا، يحيون حياتهم الخاصة منفصلين تمام الانفصال بعضهم عن بعض.

فاللّه يتعامل معنا من موقع المربى للعالمين جميعا، و علينا أن نتعامل معه من موقع الاستجابة لهذه التربية و بمرونة اجتماعية عامة

تفسير سورة الفاتحة، ص: ۸۴

و إن كانت محدودة وفق ما يتوافر من إمكانات و طاقات، لا من موقع فرديتنا، و لأجل ذلك نجده تعالى يركز على هذه الناحية، فهو رَبُّكُمْ وَ رَبُّ آبائِكُمُ الْأَوَّلِينَ* «۸۷» و هو رَبِّ الْعالَمِينَ* «۸۸» و هُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ «۸۹».

الكون المتوازن:

و نحن إذا دققنا النظر فى هذا الكون الفسيح، فإننا لا نجد سوى التوازن الدقيق و الانسجام و التناسق الظاهر فى كل مزاياه و زواياه، و الكل يسير باتجاه الهدف المحدد- كل ميسر لما خلق له- و لا يتخلف عن هذا الأمر إلا هذا الإنسان الذى يتعامل الكثيرون من أفراده

بخصوصيتهم الفردية و الشخصية، و من منطلق الأنا.

و لنضرب مثالا توضيحيا لما نريد تقريره هنا:

لنفترض شجرة تنمو وسط مجموعة من مثيلاتها فى حديقة أو بستان.

---

(۸۷) سورة الشعراء، الآية ۲۶. و الصافات ۱۲۶.

(۸۸) الآيات القرآنية المتضمنه لهذه العبارة كثيرة جدا.

(۸۹) سورة الأنعام، الآية ۱۶۴.

تفسير سورة الفاتحة، ص: ۸۵

فلهذه الشجرة- من جهة- خصوصيتها الفردية، و إيحاؤها الشخصى كشجرة. فيمكن أن نفترضها و الحالة هذه تنمو بصورة عشوائية تضرب بجذورها و فروعها فى كل اتجاه باحثة عن كمالاتها الفردية هنا و هناك. بحيث قد تصل فى امتداداتها و تشعباتها إلى حدود و مستويات تحجب معها عن مثيلاتها التى بالقرب منها نور الشمس، و الغذاء و الماء، و تنشر الضعف و الشلل فى ما يحيط بها، و تزرع و تثير الفوضى، و التشويه الجمالى، و العشوائية فى الإيحاء العام للبستان كله.

و لها خصوصية من حيث كونها جزءا من التركيبة الجمالية، و الإيحاء العام للحديقة أو البستان. و هذه الناحية تفرض درجة من التهذيب و التشذيب، و صياغة غصونها و سائر عناصر شخصيتها بطريقة لها إيحاءاتها الجمالية التى تتناغم مع إيحاءات مثيلاتها، التى تشاركها فى صياغة حالة جمالية جديدة و عامة. و حينئذ لا بد أن نطلب من البستانى أن يتدخل ليتدارك أى خلل قد يطرأ على الناحية الجمالية العامة، فيبدأ عملية التشذيب بل و الاستئصال أحيانا لشجرة تمثل حالة فردية شاذة لا تنسجم مع المحيط العام.

و تؤدى إلى اختلال التوازن، و الفوضى، و التشويش فى ملامح الصورة البستانية، و أهدافها و معطياتها.

و نتيجة لذلك التشذيب و التهذيب، تعود للحديقة جماليتها، و للبستان رونقه، و تسهم تلك الشجرة- إذا استطاعت

تفسير سورة الفاتحة، ص: ۸۶

المشاركة- فى صنع ملامح تلك الصورة. و تسهم فى الإيحاء المطلوب فى مسيرة تكاملية، و مشاركة جماعية فى صنع وضع جماعى سليم، و طبيعى و قويم.

و كذلك الحال بالنسبة للحياة الإنسانية أيضا. و قد جاءت هذه الآية الشريفة ":رب العالمين "لتوحى بذلك كله فى عملية توجيه عفوى لهذا الإنسان نحو المشاركة فى صنع هذا الواقع الاجتماعى للإنسان فى حياته العامة. و هى بمثابة دعوة له لصنع التوازن و الانسجام فى محيطه العام خلال مسيرته الإنسانية التكاملية؛ فيصوغ حياته و إنسانيته و خصائصه بطريقة تحتفظ معها بفرديتها، و لكنها تنسجم و تتوازن و تتكامل مع كل ما يحيط بها، و لا تصطدم معه، بل تشكل هى و إياه رافدا للخير و العطاء، و السمو و التكامل و النمو.

و قد تفرض هذه المشاركة الإيجابية الواعية و المسؤولة قدرا من التضحية من بعض الناس، فيتخلون عن خصائص و امتيازات شخصية و فردية لهم غالية و حبيبة، تكون هى الثمن لما تنعم به المجتمعات من سعادة و رخاء، و وئام و صفاء.

الألوهية و الربوبية معا:

و حين يستقر فى وعى الإنسان: أن ثمة خالقا مدبرا لهذا الكون فإنه يدرك: أن هذا الخالق قوى، و غنى و عظيم، و قهار و ما

تفسير سورة الفاتحة، ص: ۸۷

إلى ذلك من صفات ألوهية، تعنى مزيدا من الإحساس بالبون الشاسع، فيما بين هذا الإنسان الضعيف، العاجز، المحتاج، الخ .. و بين ذلك الإله الخالق العظيم، و قد يتحول هذا الإحساس بالبون- بصورة لا شعورية- إلى إحساس بالبعد عنه، و بانقطاع العلاقات و الروابط معه أيا كانت «۹۰».

و لأجل ذلك نلمح مزيدا من الإصرار فى الآيات القرآنية على تجسيد العلاقة بين اللّه و بين العباد، كواقع حى، يتلمسه هذا الإنسان بأحاسيسه الظاهرة قبل الباطنة. فى كل حين، و فى كل مجال.

كما أن ثمة تركيزا واضحا على تكوين شعور قوى و عميق بربوبيته سبحانه لهذا الإنسان، و رفقه به، و رعايته له من موقع

---

(۹۰) و قد تجلت سلبيات هذا الشعور حين تحول إلى انحراف فكرى خطير جدا حين قالت بعض الفرق: إن اللّه قد كتب ما كان و ما يكون إلى يوم القيامة، و لم يعد قادرا على أى عمل، و لا يستطيع التدخل لتغيير أى شيء بل هو محكوم بقدره مغلول اليد، كما قالت اليهود: (يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ، غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَ لُعِنُوا بِما قالُوا).

فهو تعالى قد أوجد الخلق و انته دوره، و بطل تأثيره. فلم تعد النظرة إليه من المخلوقين- على أساس هذه النظرة المنحرفة- من موقع الحاجة. و لم يعد لصفاته تأثير. فتعطلت و انتهت و بطل مفعولها. و لم يعد الكريم، و الرحيم، و العطوف، و والخ ..

تفسير سورة الفاتحة، ص: ۸۸

المحبة، و الرعاية و التدبير لكل شؤونه على أساس الحكمة و الإشراف و الهيمنة.

فاللّه أوجدك، و لا يزال يرعاك، و يهتم بك، و يدبر شؤونك، و أنت لا تزال بحاجة إليه، و تتعامل معه من موقع حاجتك و غناه، و ضعفك و قوته، فهو يعينك شخصيا فى كل آن، و فى كل مكان. إنه هو الذى يحميك، و هو الذى يحضنك، و يرشدك، و يهديك، و هو الذى يرزقك، و يشفيك و هو الذى يرعاك و يربيك.

و من باب ربوبيته لك تنفتح على كثير من صفات الجمال فيه، فهو الراحم و العطوف، و الحكيم، و الحنان، و المنان.

و هذا كله سيجعلك تتعامل معه بروح الود و المحبة، و الحميمية و الصفاء، و الامتنان و الوفاء.

نتائج ثلاثة:

و نستنتج من ذلك الأمور التالية:

إن التعامل الصحيح مع اللّه ليس على أنه موجد و حسب، بل على أساس أنه موجد، و مرب، لا يزال يرعى، و يحفظ، و لسوف نبقى بحاجة إلى ذلك.

إن إحساسنا بالحاجة إليه و إلى رعايته و تربيته لنا يتطلب منا أن نؤهل أنفسنا لهذه التربية، و نستعد لها، و نتجاوب معها. فلا

تفسير سورة الفاتحة، ص: ۸۹

نشعر بالامتلاء و الشبع، و عدم الحاجة إلى المزيد من الكمال و السمو. لأن شعورا كهذا معناه منع تلك الرعاية، و الهداية الإلهية من التأثير، و بالتالى الإحتجاب عن الفيوضات الإلهية الضرورية لذلك.

بما إن الإنسان يحب نفسه، و يحب الكمال لها، فهو يحب الجهة التى تساعدها و ترعاها، و تسعى لرفع نقائصها لتنال ذلك الكمال المنشود. فإذا عرف و شعر- عمليا- أن اللّه سبحانه هو الذى يتولى ذلك من موقع المعرفة، و الحكمة، و الرحيمية، و القدرة، فلسوف

يتجه إليه سبحانه، و يرتبط به، على أساس الاعتراف بالنقص، و بالحاجة، و العرفان بالفضل، ثم هو يتعامل معه من خلال صفات الألوهية و الربوبية التى يجد فيها ما يغنيه.

تفسير سورة الفاتحة، ص: ۹۱

تفسير قوله تعالى: الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

اشارة

تفسير سورة الفاتحة، ص: ۹۳

الرحمن الرحيم: مرة اخرى:

و قد اتضح مما تقدم: أن قوله ":الرحمان الرحيم "بعد قوله: الحمد للّه رب العالمين. قد جاء فى موقعه الطبيعى. فإنه تعالى إنما يرعى الإنسان و يربيه بصورة متوازنة، لا يهمل جهة فيه على حساب أخرى. فيرزقه حيث يحتاج إلى الرزق، و يشفيه حيث يحتاج إلى الشفاء، و يعمل قدرته فى موضع القدرة و رحمته فى موضع الرحمة و العلم و الحكمة، و والخ .. كل فى موقعه.

و هذه هى أفضل رعاية، و أمثل تربية. يصل الإنسان من باب الرحمة إلى الربوبية، و من الربوبية إلى صفات الألوهية.

و إنما دخلنا إلى الربوبية من باب الرحمة، لأن الرحمة- كما قلنا سابقا- إنما هى نتيجة ملاحظة نقص أو ضعف، أو عجز لدى الآخرين، يدفع إلى التحرك باتجاه رفع هذا النقص، أو العجز أو الضعف. و هذا بالذات هو مورد التربية، التى هى الانتقال التدريجى لنا من حالة نقص أو ضعف أو عجز إلى حالة كمال و قوة

تفسير سورة الفاتحة، ص: ۹۴

أعلى منها و أتم. و يكون ذلك بدافع من رحمة و عطف تشأ عن مشاهدة ذلك الضعف و العجز.

فيصبح قوله تعالى: الرحمان الرحيم، نتيجة طبيعية لقوله:

رب العالمين.

أليست المرأة تهتم- عادة- بتربية طفلها، و تلبية حاجاته، و الحفاظ عليه، و تتحمل الأذى الكثير و الكبير فى سبيل ذلك؟!

إن ذلك ليس نتيجة شعورها بالواجب الشرعى أو القانونى الملح. بل لأنها تلاحظ عجزه عن الأكل و الشرب، و عن الحركة، و عن دفع الحر و البرد و سائر الأخطار عن نفسه، فتندفع بدافع من الشعور بالرحمة و العطف لرفع هذا النقص فتحميه و ترعاه و تسهر عليه.

إذن، فمجرد الشعور بالنقص لدى الآخرين لا يكفى للتحريك باتجاه رفعه، إذ قد يلتذ البعض برؤية آلام الآخرين. بل لا بد من الانفعال الإيجابى تجاهه، و هو ما نسميه بالرحمة.

النقص حقيقى و أساسى:

فتشير كلمة "الرحمان الرحيم "إلى أن هذا النقص ليس بعد تحقق أصل الكمال، ليكون نقصا لما هو زائد عن حد الكمال، كان ينبغى أن يضاف إليه. و إنما هو حاجة و ضعف و نقص عن حد الكمال نفسه. و إلا، فلو كان الكمال حاصلا، و النقص

تفسير سورة الفاتحة، ص: ۹۵

و الضعف إنما هو فى عدم نيل الزائد عنه فلا يبقى هذا المورد مصداقا و محلا للرحمانية الشاملة، و لا للرحيمية الثابتة و الراسخة و الدائمة.

ثبات و استمرار الرحمة:

و لا بـد من هذا الدوام و الاسـتمرار للرحيمية بالنسـبة لهذا الإنسان، لأن كل شـيء إذا وصل إلى درجة كماله؛ فإنه قد يبقى ثابتا عليها، إلاـ الإنسـان، فـإنه دائمـا فى معرض النقص بسـبب أنـه يملـك غرائز و شـهوات و طموحـات قـد تزل قـدمه، و تجره إلى المخـاطر بل المهالك. فهو بحاجة إلى استمرار هذه الرعاية، و دوام إفاضة الألطاف عليه، حتى و هو فى أقصى حالات كماله.

دوافع التربية و الرعاية:

ثم إن هناك رعايـة و تربيـة من موقع الأنانيـة الشخصـية للمربى، حيث يرى أن ثمة نقصا يعود إليه. و ذلك مثل تربية الأولاد، فإنها قد تكون أحيانا بسبب أنانيتنا المهيمنة على مشاعرنا. و لكن رعاية اللّه سبحانه لنا، هى محض التفضل، و محض الرحمة، و محض الخير.

تفسير سورة الفاتحة، ص: ۹۶

فاتضـح من جميع ما تقـدم أن "الرحمان الرحيم "كانت هنا هى النهايـة، كما كانت "الرحمان الرحيم "هى البدايـة فى آيـة "بسم اللّه الرحمان الرحيم "و ما أحوجنا لهذا الأمر، و ما أشد غفلتنا عنه.

تفسير سورة الفاتحة، ص: ۹۷

تفسير قوله تعالى: مالِكِ يَوْمِ الدِّينِ

اشارة

تفسير سورة الفاتحة، ص: ۹۹

المعاد مشكلة حقيقية للمشركين:

و قوله تعـالى: مالِـكِ يَوْمِ الـدِّينِ قـد أشـار إلى أصـل مهم جـدا من أصول الـدين. و هو المعاد، و القيامـة، حيث الحساب و الجزاء، و الثواب و العقاب.

و هذا هو الأصل الأكثر حساسية، و الذى كان يثير حفيظة المشركين، و يحرجهم، و يخرجهم عن أدنى حالات التوازن.

فلماذا هذه الحساسية المتناهية منهم تجاه هذا الأصل يا ترى؟!

للإجابة على هذا السؤال نقول:

إن المشركين و إن كانوا يتمسكون بعبادة الأصنام، إلا أنهم ما كانوا حريصين على عبادتها و على رفض التوحيد إلى درجة أن يضحوا فى سبيلها بالمال و الرجال، و الأهل و الولد، و بكل شيء.

و لم يكن الاعتقاد باللّه عز و جل و بأنه خالق رازق، رحيم، عزيز الخ .. بالأمر البعيد عن أذهانهم، و قد أشار تعالى إلى ذلك، فقال:

تفسير سورة الفاتحة، ص: ۱۰۰

وَ لَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ وَ سَخَّرَ الشَّمْسَ وَ الْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ .. «۹۱».

وَ لَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّماءِ ماءً فَأَحْيا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِها لَيَقُولُنَّ اللَّهُ .. «۹۲».

بل إن عبادتهم الأصنام لم تكن تعنى لديهم رفض عبادة اللّه، بل كانوا يرون أن عبادتها توصل إليه تعالى، قال سبحانه:

وَ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِياءَ، ما نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونا إِلَى اللَّهِ زُلْفى «۹۳».

نعم، هم كانوا يرون أن للأصـنام نوعا من التأثير فى أوضاعهم، فهى تؤثر فى سعة رزقهم، و شـفاء مرضاهم، و فى دفع أعدائهم، و فى

حل مشاكلهم.

فلو أنهم عدلوا عنها إلى الاعتقاد بأن اللّه سبحانه هو الذى يتولى هذه الأمور و غيرها لهم، فهو الذى يرزقهم و يشفيهم، و يدفع أعداءهم و يحل مشاكلهم. فإنهم سوف لن يرفضوا ذلك و لن يقاوموه بهذه الشراسة.

---

(۹۱) سورة العنكبوت، الآية ۶۱. و راجع: سورة لقمان، الآية ۲۵. و سورة الزمر، الآية ۳۸. و سورة الزخرف، الآيات ۹ و ۸۷.

(۹۲) سورة العنكبوت، الآية ۶۳.

(۹۳) سورة الزمر، الآية ۳.

تفسير سورة الفاتحة، ص: ۱۰۱

كما أن اعتقادهم بنبوة النبى لم يكن يمثل لهم مشكلة كبيرة أيضا. و ما اسهل عليهم أن يعتقدوا أن محمدا يكلّم من السماء لو كان الأمر يقتصر على ذلك. بل لقد عرضوا على النبى (ص) أن يملكوه عليهم، و يعطوه الأموال، و يزوجوه من شاء. فالقضية إذن بالنسبة إليهم ليست قضية الجاه و المقام النبوى للنبى (ص)، و حسب.

و لكن المشكلة كل المشكلة، و الكارثة الحقيقية بالنسبة إليهم، و علة العلل فى رفضهم الانقياد للنبى (ص) هى الاعتقاد بالمعاد، و بيوم الدين، و الجزاء و الحساب، و الثواب و العقاب، و هى المشكلة التى تحدث عنها اللّه هنا بقوله "مالك يوم الدين."

و لا يقتصر ذلك على المشركين بل يشاركهم اليهود فى هذا الأمر أيضا. فإن حاكمية اللّه ليوم الدين هو الموضوع الأكثر حساسية، و الأكثر إثارة لهذين الفريقين من الناس، لأنه هو الموضوع الأكثر حيوية، و ملامسة لحياة الإنسان، بكل تفاصيلها حتى أخص الخاص منها.

لأن الاعتقاد بالحساب و بالدينونة يقتضى منهم أن يرتبوا حياتهم من جديد، بطريقة تؤدى إلى السلامة الحقيقية فى يوم الدين. و يخرج القرار من يدهم فى كبير الأمور و صغيرها، و يجعلهم ملزمين بامتثال أوامر اللّه، الذى عرفوا بعضا من صفات ألوهيته و ربوبيته، ككونه حيا قيوما، عالما، قادرا، رازقا الخ ..

تفسير سورة الفاتحة، ص: ۱۰۲

إن هذا الاعتقاد يخلق لدى الإنسان شعورا مختلفا (لا يخلقه الاعتقاد بالتوحيد، أو بالنبوة، أو بغير ذلك) و هو اعتقاد له آثار عملية، لأنه يجعل الإنسان يشعر بأنه مطالب و محاسب و مسؤول عن كل ما يصدر منه، و ليس حرا فى أن يفعل كل ما يحلو له، بل عليه أن يعيد النظر فى كل كبيرة و صغيرة فى حياته، حتى فى أموره الاعتقادية فى أدق تفاصيلها، و فى سلوكياته، فى صغيرها و كبيرها على حد سواء، و فى مشاعره، و علاقاته، و ارتباطاته العاطفية، و فى كل شأن، و فى كل شيء يمكن أن يطالب به فى يوم الحساب.

و من خلال الاعتقاد بيوم الدين ينفتح هذا الإنسان على اللّه، و على صفاته. خصوصا: عليم، جبار، منتقم، عزيز .. لمن يكون طاغيا مستكبرا، متمردا و قاسيا. فيتراجع: ليدخل من باب الرحمان الرحيم إلى: التواب الغفور، الودود و ينتهى إلى الحمد على تربيته و رعايته له، و ينال الشعور بالأمن مع اللّه، و مع صفة المؤمن، و البر، و السّلام.

و إن لم يتراجع هذا الإنسان. فلسوف يعيش حالة الإحباط، و اليأس، و الخسران أمام صفات المنتقم، الجبار، العزيز الخ ..

فالاعتقاد بيوم الدين هو الأساس، فى شعور الإنسان بالمسؤولية عن التغيير فى كل حياته، و ليدخل فى دائرة التعبد و الانقياد الحقيقى للّه، و الانصياع لكل أمر و نهى و نفى أى عبودية

تفسير سورة الفاتحة، ص: ۱۰۳

لغيره تعالى: من شخص أو مقام، أو مال، أو هوى، أو صنم، أو أى شيء له تأثير بدرجة ما على سلوك و مواقف الإنسان، حيث لا بد أن يكون التأثير للّه وحده، و العبودية الخالصة له تعالى دون غيره. ثم يطلب الاستعانة المطلقة به، و الهداية منه كما سنوضحه.

و لهذا نجد أنهم حينما ظهر الإسلام فى مكة، كانت ثورتهم الحقيقية و العارمة ضد الإيمان بالمعاد و الجزاء و القيامة. لأنها تستهدف التغيير الكامل و الشامل فى كل شىء فى حياتهم. و مما زاد فى حنقهم أنهم رأوها تجد آذانا صاغية لدى الكثيرين، فزاد خوفهم و رعبهم. و لذلك نجد أن القرآن الكريم لم يزل يؤكد على البحث و الجزاء و القيامة. و يضرب لهم الأمثال الإقناعية لذلك و لا يزيدهم ذلك إلا إصرارا و جحودا و عنادا.

قال تعالى: إِنْ هِيَ إِلَّا حَياتُنَا الدُّنْيا نَمُوتُ وَ نَحْيا وَ ما نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ «۹۴».

و قال سبحانه: وَ ضَرَبَ لَنا مَثَلًا وَ نَسِيَ خَلْقَهُ، قالَ: مَنْ يُحْيِ الْعِظامَ وَ هِيَ رَمِيمٌ. قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَها أَوَّلَ مَرَّةٍ، وَ هُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ «۹۵».

---

(۹۴) سورة المؤمنون، الآية ۳۷.

(۹۵) سورة يس، الآية ۷۹ و ۷۸.

تفسير سورة الفاتحة، ص: ۱۰۴

و قال عز و جل: أَ وَ لَمْ يَرَوْا: أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ وَ لَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقادِرٍ عَلى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتى «۹۶».

و قال عز شأنه: إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ الْمَوْتى وَ نَكْتُبُ ما قَدَّمُوا وَ آثارَهُمْ «۹۷».

ثم بيّن سبحانه سبب إنكارهم ليوم القيامة، فقال: لا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيامَةِ. وَ لا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ. أَ يَحْسَبُ الْإِنْسانُ أَلَّنْ نَجْمَعَ عِظامَهُ؟ بَلى قادِرِينَ عَلى أَنْ نُسَوِّيَ بَنانَهُ. بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسانُ لِيَفْجُرَ أَمامَهُ. يَسْئَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيامَةِ. فَإِذا بَرِقَ الْبَصَرُ .. «۹۸».

إذن، فهم ينكرون يوم القيامة؛ لأنهم يريدون أن يبرروا فجورهم و انحرافهم، و كل تصرفاتهم. و أن يبرروا إصرارهم على مواصلة هذا الفجور فى المستقبل.

و بعد كل ما تقدم فإننا نعرف سبب شدة اليهود و المشركين فى عداوتهم لأهل الإيمان. قال تعالى: لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ

---

(۹۶) سورة الأحقاف، الآية ۳۳.

(۹۷) سورة يس، الآية ۱۲.

(۹۸) سورة القيامة، الآيات ۱- ۷.

تفسير سورة الفاتحة، ص: ۱۰۵

عَداوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ، وَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا «۹۹». فإن توراتهم تلك المحرّفة لم تتعرض ليوم القيامة أبدا. نعم قد تحدثت فى مورد عن وادى الهلاك. و لذلك نجد أن اليهود عموما لا يعتقدون بيوم القيامة، و الذين يعتقدون به منهم فإنهم ليس لديهم بالأمر الواضح فى مغزاه و مرماه و فى تفاصيله. و لذا فإن اليهود يرون أن خسارتهم للدنيا لا يعوضها شىء، فكانت الدنيا كل همهم، و كانوا: أَحْرَصَ النَّاسِ عَلى حَياةٍ «۱۰۰» مهما كانت تافهة و حقيرة.

ثم جاءت تعاليمهم لتزيد من غرورهم، و من إحساسهم بفرديتهم التى عبّر عنها القرآن بقوله: بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعاً وَ قُلُوبُهُمْ شَتَّى «۱۰۱». فزاد ذلك من حبهم للدنيا، و زاد من كرههم لأهل الإيمان؛ لأنهم هم الذين تخلوا عن خصوصياتهم الفردية ليذوبوا فى المجتمع، و ليكونوا قوة حقيقية يخشاها اليهود أشد الخشية، و لذلك عادوها أشد العداء حتى أكثر من عداء المشركين. و لذلك ذكرهم اللّه قبل أن يذكر المشركين:

اليهود و الذين أشركوا.

---

(۹۹) سورة المائدة، الآية ۸۲.

(۱۰۰) سورة البقرة، الآية ۹۶.

(۱۰۱) سورة الحشر، الآية ۱۴.

تفسير سورة الفاتحة، ص: ۱۰۶

و يلاحظ أنه لم يقل: اليهود، و المشركون. و ذلك ليشير إلى أن الشرك قد جاء على خلاف الفطرة، و قد خرجوا بشركهم عن فطرة اللّه باختيارهم.

أى أنواع المالكيات للّه تعالى؟

و أما لماذا قال تعالى: مالِكِ يَوْمِ الدِّينِ و لم يقل:

المحاسب أو المجازى يوم الدين.

فالجواب هو: أننا نجد أن المالكية على أنواع:

المالكية الاعتبارية: و هى التى تنشأ من تصميم العقلاء الذى لهم صلاحية إنشاء اعتبار كهذا، فوجود هذا النوع من المالكية قائم بوجود الاعتبار و القرار. و ينشأ عنه إطلاق التصرف للمالك فى مورد اعتبار الملكية، و هذه التصرفات يمكن تحديدها بحدود و تقييدها بقيود، كمنع الإسراف، أو الإتلاف، أو التعذيب لذى الروح من دابة أو عبد مملوك.

و يمكن سلب الاعتبار عن أنواع بخصوصها، كالميتة، و الخمر و غير ذلك.

أما بالنسبة لمورد الاعتبار فهو من حيث القيمة:

قد يكون غير ذى قيمة بنظر العرف. و ليس ملكا، كحبة تراب فى صحراء، حيث لا يملكها أحد، أو كقطرة من ماء البحر.

تفسير سورة الفاتحة، ص: ۱۰۷

قد يكون ملكا و مالا، و لكنه لا قيمة له، كحبة تراب أو حبة قمح فى أرض زيد من الناس، فإنها ملك له، و لكنها لا قيمة لها بنظر الناس.

قد يكون له قيمة، و هو ملك، و مال ..

و من جهة أخرى، فإن منشأ القيمة يختلف أيضا:

حيث إن قيمته قد تكون ناشئة من محض اعتبار العقلاء، لأغراض خارجة عن حقيقته و ذاته. كغرض التسهيل فى المعاملات أو لغير ذلك. فيعطونه القيمة أو ينزعونها لأجل ذلك. و ذلك مثل الأوراق النقدية، فإن ماليتها و ملكيتها متقومان باعتبار من لهم صلاحية إنشاء اعتبار كهذا. و هم الذين يتحكمون فى مستوى هذه القيمة، التى قد تعلو فى يوم، و قد تنخفض فى يوم بصورة كبيرة و خطيرة. و قد تزول بالكلية فى يوم آخر، مع أن الورقة النقدية لا تزال هى ذاتها لم تتبدل، و لم تتغيّر.

قد تكون قيمة المورد كامنة فى داخل ذاته و حقيقته، بسبب ما له بنفسه من دور حقيقى فى حياة الإنسان، و بسبب الحاجة الواقعية إلى الاستفادة من الخصوصية القائمة فى ذاته. فليست قيمته إذن ناشئة من مجرد الاعتبار و الجعل. و ذلك مثل البيت للإنسان، و مثل الغذاء و الدواء، و اللباس له. فالحاجة الواقعية إليه و خصوصيته الكامنة فيه، و التى يتطلبها الإنسان هى التى أعطته القيمة، ثم اعتبر من له حق الاعتبار و الجعل هذا الشىء ذا القيمة

تفسير سورة الفاتحة، ص: ۱۰۸

تفسير سورة الفاتحة ۱۵۰

ملكا لهذا الإنسان. و أطلق له التصرف فيه فى الحدود و القيود المعقولة، و المقبولة. التى لا توجب حيفا على الآخرين. و لا توجب

إحداث أی خلل فی مسار الحیاة، فی مختلف جوانبها و حالاتها.

و هذا القسم هو الأهم من الأقسام التی سبقته.

المالکیة الطبیعیة: هذا النوع من الملکیة أعمق، و أقوی من سابقه، بجمیع أقسامه. و ذلک لما فیه من شدة الاختصاص، و قوة العلاقة، و عمق الحاجة. مع التذکیر بأن هذه العلاقة و الاختصاص، لا تنشأ من الاعتبار، و لا من الحاجة أیضا.

بـل هی حالـة واقعیـة ذاتیـة یبررهـا الحاجـة إلی الکمـال، و إلی فیض الوجود و تطلّب الکمـال فیه. و ذلـک مثـل ملکیتـک لیـدک، و لرجلـک، و لعینـک، و لغیر ذلک من جوارحک. و هـذه الملکیـة قـد تخضع لبعض الحـدود و القیود، و قـد تتوقف و تلغی من الجهة الأقوی، کما سنشیر إلیه إن شاء اللّه تعالی.

المالکیة الحقیقیة: التی تحدثت عنها الآیة الشریفة:

"مالک یوم الدین "و هی المالکیة الثابتة و الراسـخة، التی لا ینالها ضعف، و لا وهن، و لا تقبل الانتزاع، و لا الاعتبار و لا التصرف أو التحدید، و التقیید فیها.

و هی المالکیة المنبثقة عن ألوهیته تعالی، و ربوبیته و خالقیته لکل ما فی هذا الوجود، و إحاطته به و هیمنته الحقیقیة و سلطته

تفسیر سورة الفاتحة، ص: ۱۰۹

علیه الدائمة و الثابتة، و هی ألوهیة و ربوبیة ثابتة، و رعایة دائمة، و فیض مستمر، یکون به قوام الوجود و استمراره. و هذا ما یفسر عمق هذا المالکیة و ثباتها و دوامها و رسوخها، و یشیر إلی حقیقتها و کنهها.

و هو أیضـا یجعلنـا نفهم بعمق حقیقـة: أنه تعـالی مصـدر کـل المالکیات الأخری. فهو یعطیها، و هو یلغیها، متی شاء و کیف شاء. قال تعالی: لِمَنِ الْمُلْکُ الْیَوْمَ، لِلَّهِ الْواحِدِ الْقَهَّارِ «۱۰۲».

و قال سبحانه: مالِکَ الْمُلْکِ، تُؤْتِی الْمُلْکَ مَنْ تَشاءُ، وَ تَنْزِعُ الْمُلْکَ مِمَّنْ تَشاءُ «۱۰۳».

و قال جل شأنه: یَوْمَ لا تَمْلِکُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَیْئاً، وَ الْأَمْرُ یَوْمَئِذٍ لِلَّهِ «۱۰۴».

و قال تعالی: أَمَّنْ یَمْلِکُ السَّمْعَ وَ الْأَبْصارَ «۱۰۵».

نعم، إن کل المالکیات الأخری تزول و تتلاشی، حتی ملکیتنا لیدنا و لسائر جوارحنا. فلا یملک أحد لأحد ضرا و لا

---

(۱۰۲) سورة غافر، الآیة ۱۶.

(۱۰۳) سورة آل عمران، الآیة ۲۶.

(۱۰۴) سورة الانفطار، الآیة ۱۹.

(۱۰۵) سورة یونس، الآیة ۳۱.

تفسیر سورة الفاتحة، ص: ۱۱۰

نفعا، و لا یملک أن یدفع عن نفسه، و لا عن غیره بید، و لا بلسان و لا بموقف، و لا برأی و لا بغیر ذلک و یکون اللّه سـبحانه فقط هو المتصرف و المهیمن، و المحاسب، و المجازی .. الخ ..

إن أحدا یوم القیامة لن یکون قادرا علی التصرف بماله، و لا بقوته، و لا بمنصبه، و لا بموقعه الاجتماعی، أو السیاسی، و لا بلسانه، و لا بیده، و لا بغیر ذلک.

فلله إذن حق التصرف فی کل شیء کیفما شاء و حسبما یرید، و من هنا یتضح أن کلمة "المجازی "أو "المحاسب یوم الدین "لیست هی الاختیار الأصلح و لا الأنسب فی الآیة الکریمة.

يَوْمِ الدِّينِ:

اشارة

و أما بالنسبة لكلمة "يوم الدين "فإننا نقول: إنها تشير إلى الجزاء، و إلى الهيمنة الجزائية العادلة. لأنها فرضت وجود دين و جزاء مقابل عمل فهى إذن ليست هيمنة عشوائية ظالمة و معتدية، و متسلطة بلا مبرر.

و هى كذلك توحى بوجود عمل صحيح تارة و عمل فاسد تارة أخرى، لا بد أن يستتبع فى كل حالة ما يناسبها؛ و هذا إيحاء بالعدل؛ فلا يريد اللّه أن يظلم أو يعتدى على أحد. بل يريد أن يجازيك بحسب عملك؛ فأنت السبب فى كل ما يجرى لك و عليك، إذ كما تدين تدان. فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقالَ ذَرَّةٍ خَيْراً

تفسير سورة الفاتحة، ص: ١١١

يَرَهُ، وَ مَنْ يَعْمَلْ مِثْقالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ «١٠۶» و هَلْ جَزاءُ الْإِحْسانِ إِلَّا الْإِحْسانُ «١٠٧».

إذن فكلمة "الدين "تشير و لو بطرف خفى إلى هذا العدل.

فهى إذن هنا أنسب من كلمة "القيامة "أو "يوم الحساب "و نحو هما لا سيما بعد تلك المسيرة الطويلة عبر النعم و الألطاف الإلهية، بدء من بسم اللّه الرحمن الرحيم، و انتهاء بصفتى الرحمانية و الرحيمية.

لأن هذا "الدين "قد استبطن العدل من موقع كونه تعالى، حكيما. فإذا دخلت إلى محكمة يوم الدين من باب الرحمانية و الرحيمية، فإن باستطاعتك أن تجعل نتيجة هذه المحكمة لصالحك. إذا كنت ممن يستحق الرحمة.

مالكية اللّه سبحانه للدنيا:

و أما لماذا لم يشر اللّه سبحانه هنا إلى مالكيته للدنيا أيضا؛ فقد تقدم: أنه تعالى بعد أن أشار إلى رعايته و تربيته للعالمين من موقع الربوبية، قد أراد أن ينقل هذا الإنسان إلى يوم الجزاء، حيث يجد نفسه فاقدا لأى لون من ألوان المالكية. و لا يمكنه إلا أن ينقاد لإرادة اللّه سبحانه، حيث تجرى عليه أحكامه.

---

(١٠۶) سورة الزلزال، الآيتان ٧ و ٨.

(١٠٧) سورة الرحمن، الآية ۶٠.

تفسير سورة الفاتحة، ص: ١١٢

أضف إلى ذلك: إن اللّه سبحانه قد جعل للإنسان حرية و اختيارا فى الحياة الدنيا، فلو أنه تعالى تحدث عن مالكيته فيما يرتبط بهذه الحياة فلربما توهم بعضهم من ذلك: إن ثمة نوعا من الجبرية الإلهية، و إن الإنسان حين يستخدم إرادته و اختياره يكون قد تمرد على اللّه، و اجترأ عليه. إذن فالتجلى للمالكية الإلهية يكون فى يوم القيامة، حيث لا يملك الإنسان لنفسه نفعا و لا ضرا لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ، لِلَّهِ الْواحِدِ الْقَهَّارِ.

الدين هو الجزاء:

أما ما ورد عن الأئمة عليهم السّلام من: أن الدين هو الحساب. فمن الواضح: أنه من باب ذكر الملزوم و إرادة اللازم، فإن الدين هو الجزاء، ثوابا على الإحسان، و عقابا على الإساءة، و الجزاء إنما يكون بعد الحساب.

یوم:

و یبقی هنا سؤال:

إنه إذا کان الیوم هو مجموع اللیل و النهار، و إذا کانت الشمس فی یوم القیامة سوف تکور (أی یذهب ضوؤها) و لا یبقی لیل و لا نهار، فأی معنی یبقی لکلمة "یوم "فی قوله: یوم الدین؟!

و الجواب عن ذلک: أن کل حادث زمانی یبقی زمانیا.

سواء فی الدنیا أو فی الآخرة. و المراد بالیوم هو القطعة من الزمان

تفسیر سورة الفاتحة، ص: ۱۱۳

(و لا یجب أن یشتمل الزمان علی لیل و نهار) و قد تکون القطعة طویلة و قصیرة. قال تعالی: تَعْرُجُ الْمَلائِکَةُ وَ الرُّوحُ إِلَیْهِ فِی یَوْمٍ کانَ مِقْدارُهُ خَمْسِینَ أَلْفَ سَنَةٍ «۱۰۸». و قال: وَ إِنَّ یَوْماً عِنْدَ رَبِّکَ کَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ «۱۰۹».

و الیوم الذی فیه اللیل و النهار هو الیوم الدنیوی. بل إننا حتی فی الیوم الدنیوی نجد أماکن یکون فیها اللیل بمقدار ستة أشهر. بل قد یقال: إن بعض الأماکن لا تغیب عنها الشمس أبدا، أو تغیب عنها بمقدار ساعة واحدة مثلا. فإذا أراد سکان تلک البلاد أن یمارسوا عباداتهم من صوم و صلاة مثلا، فإن علیهم أن یراقبوا حالة أقرب البلاد إلیهم و یعملوا علی هذا الأساس.

و من جهة أخری فإن لغة القرآن هی العربیة، و هی اللغة التی وضع الناس مفرداتها للدلالة علی أمور حسیة فی بدایة الأمر، ثم وضعوا ألفاظا للدلالة علی المعانی القریبة من الحس. و هی التی یتلمسون آثارها، و یحسون بها. ثم بدأوا یتوسعون فی استعمالاتهم لها إلی ما هو أبعد و أدق، و ذلک بواسطة المجازات و الکنایات و الجری و الانطباق، و الاستعارات، و بواسطة ترکیب الألفاظ بطریقة معینة، لتدل علی المعانی المطلوبة. فاستعمال کلمة یوم فی

---

(۱۰۸) سورة المعارج، الآیة ۴.

(۱۰۹) سورة الحج، الآیة ۴۷.

تفسیر سورة الفاتحة، ص: ۱۱۴

القطعة من الزمن الممتد، الذی لا یشتمل علی لیل و لا علی نهار لا غضاضة فیه. و هو اللغة التی یمکن أن تستخدم لتعریف الناس بحقیقة ما یجری فی تلک البرهة الحاسمة من تاریخ الإنسان الذی یقدم علیه.

مالک أو ملک:

و أخیرا: فإننا نلفت إلی ما یقوله بعضهم: من وجود قراءة أخری لکلمة مالک، فیقرؤونها "ملک یوم الدین. "فقد ذکرنا فی کتابنا" حقائق هامة حول القرآن "ما یفید: أن القراءات إن کانت بمعنی اختلاف لهجات القبائل فی کیفیة التلفظ بالحروف، مثل: حتی حین، و عتی حین. دون أن تختلف الصورة، و بلا تبدیل للکلمات بغیرها، و دون زیادة و لا نقیصة. فهذه القراءات تکون مقبولة إن کانت قد أمضیت من قبل النبی (ص) و الأئمة علیهم السّلام.

أما القراءات بمعنی التصرف بالصیغ، أو بمعنی تبدیل الکلمات بغیرها، أو بالزیادة و النقیصة، فهی مرفوضة. و غیر صحیحة. و هی إحدی مظاهر القول بتحریف کتاب اللّه سبحانه الذی لا یصح بأی وجه من الوجوه.

و قراءة ملک فی هذه الآیة توجب اختلافا بل اختلالا أساسیا فی المعنی، فلا مجال لقبول ذلک و لا للسکوت عنه، حیث

تفسیر سورة الفاتحة، ص: ۱۱۵

إنه ینتهی إلی ذلک المحذور الکبیر و الخطیر، الذی دل الدلیل القاطع علی بطلانه و زیفه.

الخلود فی العذاب، و العدل:

و عن سؤال: إنه کیف یمکن فهم قضیهٔ العدل فی الجزاء، و نحن نری: أن الکافر إنما عاش کافرا فی الدنیا لمدهٔ محدودهٔ، و هی مئهٔ سنهٔ مثلا، فکیف یعاقب علی کفر مئهٔ سنهٔ، بخلود دائم فی العذاب الألیم؟!

نجیب:

صحیح: أن الکفر و القتل و غیرها قد حصل فی زمن محدود، لکن ذلک الکفر و القتل قد أوجد ثغرهٔ فی سلامهٔ المجتمع، و سلامهٔ الحیاهٔ سوف تبقی إلی الأبد، فالقتل مثلا قد حرم المقتول من بقیهٔ حیاته إلی الأبد، و الجانی حرم المجنی علیه من یده أو من عینه إلی الأبد أیضا.

و هکذا سائر الجنایات و السیئات. فإنها تتسبب بعدم سوف یستمر و یبقی.

و قد کان بإمکان المجنی علیه أن یتوب من ذنوب أو أن یعمل فی بقیهٔ حیاته، أو بیده التی ذهبت، أو بواسطهٔ عینه خیرات و مبرات توجب النعیم الأبدی له، أو النجاهٔ من عذاب أبدی.

تفسیر سورهٔ الفاتحهٔ، ص: ۱۱۶

فالجزاء إذن، قد جاء علی قدر جنایهٔ الجانی، و بمقدار ما أحدثه من ثغرهٔ فی جدار سلامهٔ الحیاهٔ. و بدون هذه الملاحظهٔ لا یکون جزاء عادلا، و لا هو وفق الحکمهٔ.

تفسیر سورهٔ الفاتحهٔ، ص: ۱۱۷

تفسیر قوله تعالی: إِیَّاکَ نَعْبُدُ وَ إِیَّاکَ نَسْتَعِینُ

اشارهٔ

تفسیر سورهٔ الفاتحهٔ، ص: ۱۱۹

بدایهٔ:

قد ظهر من کل ما تقدم، ابتداء من بسم اللّه، و إلی قوله:

یوم الدین: أن اللّه سبحانه قد أسس أساسا عقائدیا متینا، یتلمسه الإنسان فی واقعه، و یحس به بفطرته و یقضی به ضمیره و وجدانه، و یحکم به عقله، و لیس نتیجهٔ اندفاع عاطفی أو غریزی، و لا انقیادا لهوی، و لا استجابهٔ لشهوات، أو لطموحات غیر مسؤولهٔ، و لا هو حرکهٔ عشوائیهٔ غیر منضبطهٔ.

إنها عقیدهٔ تستند إلی رؤیهٔ واضحهٔ، و نظرهٔ عمیقهٔ و شاملهٔ عن الکون و عن الحیاهٔ، و عن الخلق، و أهدافه، و عن الخالق و صفاته و ألطافه. تؤهل هذا الإنسان لأن یتحرک و ینطلق مصعدا لیقوم بدور بنّاء و إیجابی و سلیم مرتکزا علی هذه الثوابت العقیدیهٔ الأم، لیتلمس تفصیلات عقیدیهٔ أخری منبثقهٔ عنها هی الأقرب إلی التأثیر بالواقع السلوک إلی درجهٔ المباشرهٔ أحیانا، فیتعامل

تفسیر سورهٔ الفاتحهٔ، ص: ۱۲۰

و یتفاعل مع کل شیء من خلالها و علی أساسها؛ إذن فلیست هی مجرد مفاهیم عقائدیهٔ تلقینیهٔ خاویهٔ، لا- دور فیها للعقل، و لا للمنطق، و لا للفطرهٔ و لا للشعور، و لا للوجدان، بل هی من صمیم ذلک کله، هی حیاهٔ العقل، و انطلاقهٔ الروح، و وهج الشعور، إنها

الحیاهٔ الحقیقیهٔ، و سر الوجود.

إیاک نعبد:

اشارهٔ

و لکی نقترب قلیلا إلی واقع قوله تعالی ":إِیَّاکَ نَعْبُدُ "فإننا نعود و نـذکّر بالعقائـد الأم، کعقیدهٔ التوحید الکامل مثلا، التی تنبثق عنها تفصیلات تقول: إنه تعالی هو وحده المؤثر، و هو مصدر الفیض للعنایات و الألطاف، و هو وحده المستحق للعبادهٔ.

و هـذا الاعتقاد التفصـیلی هو الـذی یترک آثارا مباشـرهٔ و مهمهٔ فی التکوین الفکری للإنسان، ثم فی صـیاغهٔ مفاهیمه. ثم هو ینعکس علی الواقع المعاش سـلوکا و موقفا، له خصوصـیاته و ممیزاته عما عـداه. هـذا عدا عن تأثیراته الحقیقیهٔ فی تکوین الشخصـیهٔ الفردیهٔ و الاجتماعیهٔ للإنسان.

و یکفی أن نشیر هنا: إلی أن هـذا الاعتقاد هو الرافـد الشـعوری، و الفکری لانطلاقهٔ الصـراع مع النفس الأمارهٔ بالسوء، و اسـتمرار هذا الصراع لتطویعها علی ممارسهٔ التوحید فی العبادهٔ و فی السلوک، لتنتج هذه العبادهٔ أخلاقا تتناسب معها، و إخلاصا

تفسیر سورهٔ الفاتحهٔ، ص: ۱۲۱

للّه عز و جل بمسـتوی رسوخ هـذه العقیدهٔ، و بمسـتوی وضوحها أیضا. لتصبح ممارسهٔ هذا التوحید علی درجهٔ من العفویهٔ و الفطریهٔ، بعیـدهٔ عن حالات الریاء و العجب و الکبر و عبادهٔ الـذات، و المال، و المنصب، و الزعیم، و الحزب، و البنین، و السـلطهٔ، و الهوی، و ما إلی ذلک من أمراض نفسیهٔ تتنافی مع عقیدهٔ التوحید فی العبادهٔ.

فالریاء شـرک، سواء أکان العمل ضـرورهٔ حیاتیهٔ للفرد أو للمجتمع. لأن الریاء معناه جعل قسم من هذا العمل لجهhٔ أو لشـخص أو لفئهٔ أخری غیر اللّه سبحانه، بحیث یکون لهؤلاء تأثیر و مشارکهٔ.

إذن، فلا بد من تخصـیص العبادهٔ للّه، و لا بد من توحید العبادهٔ له تعالی؛ لأنه وحده المستحق لها، لیصبح قولنا ":إیاک نعبد "له معناه و مغزاه الحقیقی، بعـد أن وضـحت الرؤیـهٔ التوحیدیـهٔ العقائدیـهٔ، فی العبادهٔ، و فی السـلوک و العمل. منذ بدأنا بکلمهٔ بسم اللّه .. حتی انتهینـا إلی "إیـاک نعبـد. "فأثمرت تلک النظرهٔ، و تلک العقیـدهٔ عبادهٔ خالصـهٔ له سـبحانه دون سواه، و أثمرت سلوکا توحیـدیا، فلا یستعین بغیره تعالی.

و ظهر و حصل الربط بین العقیدهٔ و السلوک بصورهٔ طبیعیهٔ و واقعیهٔ.

تفسیر سورهٔ الفاتحهٔ، ص: ۱۲۲

تقدیم کلمهٔ إیاک:

و فی کل ذلک یشـیر إلی بعض ما یرمی إلیه تقـدیم کلمـهٔ "إیاک "علی کلمتی ""نعبـد "و "نسـتعین. "فإن هذا التقدیم ینتج الأمور التالیهٔ:

التخصیص للعبادهٔ و للاستعانهٔ به تعالی. و قد أنتج لنا هذا التخصیص، من جهhٔ إیجابیهٔ: التوحید فی العبادهٔ، و العمل.

و من جهhٔ أخری: نفی الشـریک، و نفی التأثیر لغیر اللّه فی أی عمل عبادی أو سـلوکی کان. و نفی استحقاق العبادهٔ لکل من عدا اللّه سبحانه

هذا بالإضافهٔ إلی حاجهٔ کل عمل فی بقائه و استمراره، و تکامله و تحسینه، إلیه سبحانه و تعالی.

و هکـذا یتضـح: أنه قـد انبثق عن العقیـدهٔ الأم عبادهٔ، هی عمل و حرکـهٔ، و انبثق عنها صـفهٔ لهذا العمل و لهذه الحرکهٔ العبادیهٔ، و هی

کونه عملا توحیدیا و حرکة توحیدیة أیضا.

إنه تعالی یرید من هذا التخصیص، و من استعمال کلمة "إیاک "التی تعنی الحضور و الخطاب المباشر: أن یوحی لنا أنه یرید من هذا الإنسان أن یتوجه إلی اللّه، و یشعر به، و یتعامل معه حتی کأنه حاضر أمامه إلی درجة الحس المباشر، و لا یکتفی بالاعتماد علی الانتقال الذهنی، استنادا إلی ضمیر الغائب، فلم یقل:

"نعبده و نستعینه."

تفسیر سورة الفاتحة، ص: ۱۲۳

و من الواضح: أنه إذا کان اللّه سبحانه هو وحده مصدر کل خیر و عطاء و قوة و والخ .. فإنه یکون وحده المستحق للعبادة و لا تصح الاستعانة بغیره أبدا.

و إذا کان اللّه هو مصدر کل خیر و عطاء و قوة فلا یملک الإنسان قوة و لا أی شیء ذاتی فی نفسه خارج نطاق العطاء الإلهی فلماذا یکون ثمة عجب بالنفس فالتوحید الخالص یمنع العجب کما أنه إذا لم یکن أحد غیر اللّه یملک ضرا أو نفعا فلماذا الریاء فالتوحید الخالص ینفی الریاء أیضا.

إنه یرید الحضور و المشاهدة و الخطاب، الذی تتشارک فیه العین فی نظرتها، مع الید فی إشارتها، مع اللفظ فی دلالته، مع السمع فی تلقیه، مع القلب فی وعیه، مع سائر الحواس و المشاعر، و اللمحات و الخواطر. و ذلک إمعانا فی تحقیق التعیین، و نفی أی توهم للمشارکة، و إبعاد أی شبح للإبهام أو للإیهام، فیما یراد إثباته من تخصیص العبادة له و به تعالی، و فیما یراد طلبه منه من الاستعانة و الهدایة.

ثم إنّ تمحض الخطاب له تعالی، و معه، و إبعاد شبح أی إیهام أو إبهام أو مشارکة من شأنه أن یوحی لنا بالتحرر من أیة رابطة مع غیر اللّه سبحانه. لیتحقق الخلوص فی عبادته، و فی الاستعانة به سبحانه.

تفسیر سورة الفاتحة، ص: ۱۲۴

و واضح: أن هذا التحرر التام هو نتیجة التوحید الحقیقی، و تأکد أو رسوخ أساس العقیدة بالنبوة و بالمعاد أیضا. فإن ذلک یفرض توحید العبادة و العبودیة، و توحید العمل و السلوک أیضا.

نعبد و نستعین بصیغة الجمع:

و قد استعمل سبحانه هنا صیغة الجمع لا المفرد، فقال:

نعبد، نستعین. اهدنا. و لم یقل: اعبد، استعین، اهدنی. و لعله من أجل أنه سبحانه یرید لهذا الإنسان أن یعیش خصوصیته الفردیة فی نطاق حیاته الاجتماعیة، و لا یریده أن ینعزل، و ینطوی علی نفسه و یتقوقع داخل قفص حدیدی قضبانه هی الخصوصیات الفردیة المحددة، و المؤذیة أحیانا. و هذا أسلوب تربوی رفیع یهدف إلی تحویل الحرکة الفردیة، و الفعل الشخصی إلی إنجاز جماعی، له قیمته الإنسانیة الفضلی.

مع الإشارة إلی أن التشذیب و التهذیب، و إیجاد حالة التوازن فی الخصوصیات و الطموحات الفردیة إنما یکون فی ساحة الصراع و التحدی، حیث لا بد أن تعبر تلک الحالات الفردیة للأنا عن نفسها، و عن وجودها، حیث لا مبرر لهذا البروز فی حالة الانطواء و البعد عن ساحة الصراع هذه.

و لأجل ذلک، فإنه تعالی حتی حین یشرع العبادات حتی الصلاة، فإنه قد جعل طابعها العام جماعیا و اجتماعیا بصورة

تفسیر سورة الفاتحة، ص: ۱۲۵

ملموسة و ظاهرة، فالصلاة التی هی صلة للعبد به تعالی قد انطوت فی تشریعاتها و خصوصیاتها و حالاتها علی ما یجعل إحساس العبد

بصلته باللّه سبحانه يتبلور في نطاق الحياة الاجتماعية. و من خلالها. ففي الأذان دعوة إلى التجمع من أجل الصلاة جماعة، و هي في المسجد أكثر ثوابا، و يزيد هذا الثواب بعدد أفراد الجماعة المشاركين «۱۱۰». ثم تتلو نصوص الصلاة التي تصهر روحك في بوتقة المجتمع الكبير فتقول: إياك نعبد و إياك نستعين اهدنا ..

صراط الذين أنعمت عليهم .. ثم تكون آخر كلماتك هي:

السّلام علينا و على عباد اللّه الصالحين. السّلام عليكم و رحمة اللّه و بركاته فتخرج من الصلاة لتدخل من باب الصلاة نفسها- بعد أن تكون حصلت على السّلام النفسي و الروحي- إلى قلب هذا المجتمع الكبير، لتعيش بهذا السّلام، بعد أن تكون هذه الصلاة قد أسهمت في تصفية روحك، و تزكية نفسك، و أهّلتك لأن تكون العضو الصالح و القوي و الفاعل في مجتمعك، و لا تزال تنهاك عن الفحشاء و المنكر، و هي عمود الدين. و هي النهر الذي تغتسل فيه كل يوم خمس مرات، لتكون مثال الطهر و الصفاء و النقاء.

فالعبادة الفردية إذن تقوم- بالإضافة إلى سائر منجزاتها الكبرى- بتأهل الفرد و استصلاحه ليكون العضو الفاعل و العامل

---

(۱۱۰) مع أن عدد أفراد الجماعة ليس عملا، و ليس من اختيار نفس المصلي.

تفسير سورة الفاتحة، ص: ۱۲۶

الذي يحمل في داخله الأمان و السّلام، ليزرعه و ليثمر عزا و قوة، و خيرا و بركة، و سموا و نبلا، ..

و هكذا يتضح أن هذا التوحيد في العبادة، و الانطلاق إلى اللّه سبحانه في رحاب الجماعة بعد أن تسقط جميع الحواجز و الموانع و الحدود الفردية، إن هذا- و لا شك- يفتح أمام هذا الإنسان آفاقا رحبة، تدعوه إلى الانسياب فيها، و الانفتاح على كل ما تحتضنه في داخلها، ليتصل هذا الفرد بكل ما هو خارج حدود فرديته، ليصبح بحجم الإنسان كله، و بمستوى الإنسانية كلها.

و ينطلق كادحا إلى ربه، و إليه فقط دون كل ما سواه، تاركا أفقه الضيق و المحدود، ليستقبل الأفق الأرحب في ملكوت اللّه و يهوّم في رحابه اللامتناهية. سعيدا بما استطاع أن يحصل عليه من مزايا إنسانية، سعيد بدرجات القرب من اللّه تعالى. و بما أكرمه اللّه به يا أَيُّهَا الْإِنْسانُ إِنَّكَ كادِحٌ إِلى رَبِّكَ كَدْحاً فَمُلاقِيهِ «۱۱۱».

فهذا التوحيد في العبادة و الأفعال قد جعل هذا الإنسان أوسع أفقا و أرحب فكرا، و أكثر وعيا للحياة، و سوف ينتج ذلك مزيدا من التأمل و الفكر، ثم العمل الجاد الذي يكون في مستوى هذه النظرة الشمولية و الواعية.

---

(۱۱۱) سورة الانشقاق الآية ۶.

تفسير سورة الفاتحة، ص: ۱۲۷

و في التوحيد في العبادة ربط باللانهائي و اللامحدود، الذي هو مصدر كل عطاء، فما على الفكر من حرج إذن، إذا انطلق ليتصل بالمحدود ليقوم بالإنجاز الكبير بحجم الحياة كلها. هذا كله بالإضافة إلى إخراج الإنسان من حالة الانعزال و الانفصال إلى حالة التواصل و التعاون و المشاركة، و الفهم العميق لهذه المشاركة.

إن الذي يطالع تشريعات الإسلام و أحكامه يجد: أنه يريد أن يصوغ الفرد بطريقة تجعله صالحا لأن يكون لبنة في بناء المجتمع الكبير، و لا بد لأجل تحقيق هذا الهدف من تحقيق حالة التناسق و الانسجام مع سائر اللبنات التي لا بد لكل منها بحسب موقعها، و ما يتطلبه الوضع الهندسي للبناء ككل من أن تتخلى هي و تفرض على مشاركاتها أن تتخلى أيضا عن كثير من المزايا الفردية التي لو لا ذلك لتركت على طبيعتها.

و يكون التعويض غير المباشر عن تلك الخصائص و المزايا الفردية هو اكتساب كل المزايا و الاستفادة من كل القدرات و الطاقات الجماعية، التي تنعكس قوة للفرد، و طاقة له، و لكن بطريقة أخرى، و بأسلوب آخر، و هذا ما يؤكد أن للعبادة التي لها دور رئيس في

صیاغـهٔ مزایـا الفرد، لاـ بـد أن توضع فی القالب الجماعی، لتصوغ تلک المزایا فی حالـهٔ من التوازن و الانسـجام، لتنشأ متخـذهٔ بصورهٔ عفویهٔ الشکل الهندسی المطلوب. و لیس من الضروری، بل لیس من الحکمهٔ أن تنشأ هذه المزایا بصورهٔ

تفسیر سورهٔ الفاتحهٔ، ص: ۱۲۸

مستقلهٔ و منفصلهٔ، ثم یصار إلی عملیهٔ تقلیم و تطعیم، و تهذیب و تشذیب قسریهٔ لها، لأن ذلک لن یکون فی منأی عن إحداث أضرار و ندوب، و آثار تبقی و تظهر بصورهٔ أو بأخری. کان بالإمکان أن لا تکون و أن لا تراها القلوب و العیون.

و بذلک یمکن تفسیر صیغهٔ الجماعهٔ فی قوله تعالی: نعبد.

نستعین. اهدنا.

مراتب العبادهٔ:

ثم إنه مرهٔ یعبد الإنسان اللّه سبحانه لوجود أمر إلزامی، لا یرید أن یتمرد علیه.

و مرهٔ یـأتی هـذا الإنسـان بکـل مـا هو مطلوب منه، علی سبیـل المتـاجرهٔ مع اللّه، فیقوم بالعبـادهٔ المحبوبـهٔ له تعـالی، لیأخـذ فی مقابلها درجات فی الجنهٔ.

و مرهٔ یعبد اللّه لأنه یری اللّه أهلا للعبادهٔ، و هذه هی أرقی أنواع العبادات.

و ستأتی عن أمیر المؤمنین علیه السّلام الإشارهٔ إلی هذه المراتب.

تفسیر سورهٔ الفاتحهٔ، ص: ۱۲۹

ما المراد بالعبادهٔ:

و إذا أردنا أن نستوضح المراد من العبادهٔ فی "إیاک نعبد "و سواها، فإننا نقول:

لقد قال اللّه سبحانه: وَ ما خَلَقْتُ الْجِنَّ وَ الْإِنْسَ إِلَّا لِیَعْبُدُونِ «۱۱۲».

و قال تعالی: وَ ما أُمِرُوا إِلَّا لِیَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِینَ لَهُ الدِّینَ «۱۱۳».

فهـدف الخلقـهٔ إذن هی عبـادته تعالی. و المراد بهـذه العبادهٔ هو الانقیاد المطلق لإرادهٔ اللّه سـبحانه فی أوامره و زواجره؛ إذ أن اللّه قد خلق هذا الکون، و هذا الإنسان، و رسم له هدفا لا بد له من التحرک باتجاهه، حتی ینتهی إلیه، و هذا الهدف، و تلک المسـیرهٔ لیست واضحهٔ المعالم لهذا الإنسان تمام الوضوح، بل هی غارقهٔ فی بحر الغیب، و محفوفهٔ بکثیر من الأمور التی تحجب الرؤیهٔ الصحیحهٔ لها، و الشاملهٔ لکل ما یرتبط بها.

و الـذی یعرف ذلک الغیب، و یهیمن علی کل هـذا الواقع هو الذی یفترض فیه أن یقدم الإرشادات الهادیهٔ إلی طریقهٔ التعامل مع کل هذا الواقع، و کیفیهٔ استعمال هذه الأجهزهٔ التی تمکن

---

(۱۱۲) سورهٔ الذاریات، الآیهٔ ۵۶.

(۱۱۳) سورهٔ البینهٔ، الآیهٔ ۵.

تفسیر سورهٔ الفاتحهٔ، ص: ۱۳۰

الإنسان من التحرک بصورهٔ سلیمهٔ و قویمهٔ باتجاه ذلک الهدف حتی بلوغه.

و هـذا کمـا لو اشتریت جهـاز کمبیوتر مثلاـ فـإن تشـغیله بصورهٔ عشوائیـهٔ لن یحقق الأهـداف المتوخاهٔ منه. فلا بـد من التماس طریقهٔ التشغیل و تعلیماته من نفس صانع ذلک الجهاز، ثم الالتزام الدقیق بها لتحصل علی ما یراد الحصول علیه منه.

و الإنسان أيضا قـد زوّده اللّه بأجهزة تتناسب و تتناغم مع كل ما أودعه اللّه من أسـرار فی هذا الكون الذی يريد من خلال التعامل معه أن يصل إلى اللّه سـبحانه و يبلغ رضوانه و يسـعد بإنسانيته- لا بالمال و لا بالمنصب، و لا بالجمال أو الشكل، و لا بغير ذلك- و ينطلق ليحيا الحياة الحقيقيـة بعمق، و بكل ما يملك من طاقات- كما أشار إليه تعالى حين قال: إِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوانُ لَوْ كانُوا يَعْلَمُونَ «۱۱۴».

و أی اسـتعمال لهـذه الأـجهزة بغير الطريقـة المرسومـة لن ينجـح فی تحقيق هـذا التنـاغم فيما بينها و بين سائر نواميس الطبيعـة، فيكون الخلل، و يكون الخسران.

إذن، فلا بد من الطاعة الدقيقة و الشاملة لأوامره تعالى.

و هو المراد بالعبادة. و لا يمكن السماح بأصغر مخالفة للتعليمات

---

(۱۱۴) سورة العنكبوت، الآية ۶۴.

تفسير سورة الفاتحة، ص: ۱۳۱

الإلهية، لأن ذلك سينعكس سلبا على سلامة المسيرة. و لن يمكن ضمان وصول القافلة بسلام إلى الهدف المنشود بدون ذلك، و هذا ما يفسّـر لنا: أيضا قوله تعالى: لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ «۱۱۵». فلا يكون ثمـة أية عبادة، أو فقل: أی طاعة و انقياد لغير اللّه، بل و ينحصر ذلك به تعالى، و به فقط.

تنوع المستحبات و كثرتها:

و من الواضح أن الإسـلام قد قدّم- فی نطاق تعليماته- مجموعة من الأوامر و الزواجر. و كل منهما ينقسم إلى ما هو ملزم، و ما هو غير ملزم، حيث أن الواجب ترافق مع المستحب، و جاء إلى جانب الحرام، المكروه.

أضف إلى ذلك: هذا الحجم الهائل، و هذا التنوع العظيم للمستحبات على وجه الخصوص.

فما هو هذا السر فی هذا و ذاک يا ترى؟ و لماذا؟!

إننا نعتقد: أن الإجابة على هذين السؤالين تبدأ بالإشارة إلى أن هناك أمورا يسـبب فعلها أو تركها خللا مباشرا فی الواقع الذی يراد له أن يكون سليما، و متماسكا و قويا. و هناک أمور لها دور صيانة لهذا الواقع. أو دور التأهيل لما يحتاج إلى التأهيل

---

(۱۱۵) سورة البينة، الآية ۵.

تفسير سورة الفاتحة، ص: ۱۳۲

لتحمّل أعبائه، و متابعـة المسـيرة بصورة أكثر أمنا، و أكثر شـعورا بالثقة، و أحيانا يكون ثمة طموح إلى تجاوز الحد الأدنى من الأهلية، من أجل مواجهة الصوارف و التحديات القوية، التی قد تأتی من داخل الإنسان: من غرائزه أو شهواته، أو بسبب وجود خلل فی تكامل بعض خصائص شخصـيته بالمقارنة مع ما عداها. و كذلک مواجهة التحديات الكبيرة التی قد تأتی من خارج شخصـية الإنسان. و التی قد تضع الإنسان فی أحيان كثيرة فی محيط الكارثة الحقيقية. و لأجل كل ذلک و سواه كانت المكروهات و المستحبات فيما يبدو.

و بما ذكرناه أيضا يعرف سـبب التنوع فی خصوص المسـتحبات، فإن الهـدف بالإضافة إلى أمور أخرى هو شـحن هذا الإنسان روحيا بواسطة هذه المستحبات، و المفروض هو وجود تنوع فی ظروف و قدرات، و حالات الإنسان، و ضروريات حياته المختلفة، فمع تكثر و تنوع المسـتحبات يصـبح باسـتطاعته أن يسـتفيد منهـا فی مختلف حالاته و ظروفه النفسـية، و الجسديـة، و الاجتماعيـة، و المعيشـية و

غيرها. حيث يجد فيها ما يتلائم مع كل حالهٔ و كل ظرف. فقد يرغب فى الصوم إذا كان الصوم يلائم ظروفه و تقبل عليه نفسه، و قد يرغب فى قراءهٔ القرآن إذا كانت حالته المعيشيهٔ و الجسديهٔ و سواها تسمح له بذلك، و قد يرغب فى

تفسير سورهٔ الفاتحهٔ، ص: ۱۳۳

العمل الاجتماعى و قضاء حاجات المؤمنين. فيختار ذلك أيضا.

و هكذا فى سائر الحالات و الأوضاع و الظروف.

و إياك نستعين:

اشارهٔ

و إذا انتقلنا إلى قوله تعالى: و إياك نستعين، فإننا نسجل مد يلى:

الوعى يقتضى الاستعانهٔ:

إنه إذا عرف الإنسان حجم ما يواجهه من تحديات من داخل ذاته، و هو ما يحتاج لدفع آفاته إلى الجهاد الأكبر، على حد تعبيره (ص)، و عرف أيضا حجم التحديات التى تواجهه من خارج ذاته، فى كل موقع و فى كل مجال، فإنه يدرك أنه بحاجهٔ إلى الاستعانهٔ بمصدر القوهٔ و الالتجاء إلى مصدر العطاء و الفيض. و لن يستطيع أن يحقق حلمه الكبير من دون ذلك.

التوحيد فى العبادهٔ و الاستعانهٔ:

و إن الآيهٔ الشريفهٔ فى حين أكّدت على التوحيد الكامل فى العبادهٔ، فإنها قد أكدت أيضا على التوحيد فى العمل، حيث حصرت الاستعانهٔ به سبحانه دون كل ما و من عداه. الأمر الذى يعنى: أنه تعالى وحده القادر على التأثير، و أنه وحده الغنى، و القوى، و والخ .. فمن أجل ذلك كان لا بد من حصر الاستعانهٔ

تفسير سورهٔ الفاتحهٔ، ص: ۱۳۴

به تعالى. و من أجل ذلك كان التوحيد فى الاستعانهٔ معناه الحريهٔ الكاملهٔ و الحقيقيهٔ، حيث لا يشعر أنه بحاجهٔ إلى أحد لأن الجميع لا يملكون ضرا و لا نفعا و لا موتا و لا حياهٔ و لا نشورا. و لأجل ذلك جاءت الاستعانهٔ مطلقهٔ و من دون تقييد أو تحديد.

جبر أم اختيار:

و إذا لو حظت صيغهٔ الآيهٔ فإنها تدل دلالهٔ واضحهٔ على أننا نحن الذين نختار أن نفعل، و نحن الذين يصدر عنا الفعل الذى نختاره. فنحن نعبد اللّه، و نحن أيضا نعمل و نطلب منه تعالى أن يعيننا على ما نعمله و لذا قال: نعبد. نستعين. فلو كان هو الذى يعمل فلماذا نطلب منه العون؟! و لماذا أيضا ننسب العبادهٔ إلى أنفسنا؟!

الاستعانهٔ، و العجب و الرياء و غيرها. و نقول أيضا:

أولا: إن إحساسنا بالحاجهٔ إلى معونهٔ الغير لنا، معناه: أننا لا نملك القدرات الكافيهٔ لإنجاز الفعل بالاستقلال. و هذا من شأنه أن يبعد الإنسان عن الشعور بالعجب الناشئ عن الإحساس بالقدرهٔ الفائقهٔ، و بالاستقلاليهٔ فى التأثير.

ثانيا: إذا كان الإنسان يحسّ بالحاجهٔ إلى الغير من الناس، أو يشعر بالضعف أمامه، فقد يلجأ إلى أن يتزلف له، و يتقرّب

تفسير سورة الفاتحة، ص: ۱۳۵

منه، بإظهار خلاف الحقيقة. فيقع فى الرياء، و فى محاولة التزييف و الخداع.

أما إذا تأكد لديه: أن اللّه وحده هو الذى يمكن أن يرفع ضعفه، و يسد حاجته، فإنه لا يجد ضرورة للتزلف إلى غيره.

و يكون قد ابتعد بذلك عن حالة الرياء التى تنشأ عادة من الشعور بالحاجة إلى الآخرين، أو بالضعف أمامهم. فإذا وجد أنهم لا يملكون ما يجبر ضعفه، و يسد حاجته؛ فلماذا يتزلف إليهم؟

و لماذا الرياء؟

و إذا رأى: أن غيره ضعيف مثله، و ليس لديه ما يتقوى به، فلماذا و عن أى شيء يخدعه؟

ثالثا: ثمة نقطة أخرى نشير إليها هنا، و هى أن الإنسان يحتاج إلى المعونة و هو فرد، و يحتاج إليها، و هو جماعة. فلا يمكن أن يستغنى عن معونة اللّه سبحانه فى الحالتين، فإذا كانت الجماعة تحتاج إلى العون، فحاجة الفرد إلى ذلك تصبح أولى و أوضح.

الاستعانة بغير اللّه سبحانه:

تمنع بعض الفرق من الاستعانة بغير اللّه سبحانه، و تعد ذلك شركا، و خروجا عن الدين، إذ لا مؤثر فى هذا الوجود سوى اللّه سبحانه. و الاستعانة بغيره تستبطن الاعتقاد بوجود مؤثر آخر سواه.

تفسير سورة الفاتحة، ص: ۱۳۶

إذن، فلا يجوز (وفق مقولتهم) أن نقول عند ما يتكالب علينا المستكبرون: يا مهدى أدركنا. و عند ما يتكالب علينا الأعداء، و نحتاج إلى الأسوة، و إلى إلهاب روح التضحية و الفداء لندفع عنا كيد الأعداء، لا يجوز أن نقول: يا حسين. و حينما نشعر بالمظلومية و نحتاج لبلسمة الجراح لا يجوز أن نقول: يا زهراء.

و عند ما نحتاج إلى الصبر فى موقع الكرب و البلاء، لا يجوز (وفق مقولتهم أيضا) أن نقول: يا زينب. و عند ما نريد أن نتقوى على العمل الكبير و الخطير، لا- يجوز أن نقول: يا على. و لا يجوز أن نطلب شفاء المريض، و حفظ الغائب من النبى أو الولى. إلى آخر ما هنالك.

و هذا الكلام ظاهره جميل و منسجم مع تقديم كلمة "و إياك "المفيد للتخصيص للاستعانة به تعالى، فى قوله تعالى ":وَ إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ."

و لكن الحقيقة هى: أنه كلام غير مقبول، بل و غير معقول. و ذلك لما يلى:

إنه لو صح هذا لاقتضى تحريم قصد الطبيب للعلاج.

و لاقتضى تحريم شرب الدواء. و لاقتضى كذلك تحريم طلب المعونة فى حمل الحجر أو الصندوق الثقيل، و لاقتضى تحريم أن يطلب الإنسان من أحد أن يناوله الإبريق مثلا ليشرب. فإن ذلك كله

تفسير سورة الفاتحة، ص: ۱۳۷

أيضا استعانة بالمخلوق. فإن كان ما تقدم يعد شركا، فهذا أيضا مثله.

لقد حفل القرآن الكريم بالآيات الصريحة بطلب العون، أو طلب التعاون من غير اللّه سبحانه، فلو كان ذلك شركا، فلماذا يأمر اللّه سبحانه بالشرك؟

فلنقرأ الآيات التالية:

قال تعالى: وَ تَعاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَ التَّقْوى وَ لا تَعاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَ الْعُدْوانِ «۱۱۶».

و قال: وَ اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَ الصَّلاةِ، وَ إِنَّها لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخاشِعِينَ «۱۱۷».

و قال: اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَ الصَّلاةِ، إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ «۱۱۸».

و قال تعالى: حكاية لقول ذى القرنين: قالَ ما مَكَّنِّى فِيهِ رَبِّى خَيْرٌ، فَأَعِينُونِى بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَ بَيْنَهُمْ رَدْماً «۱۱۹».

---

(۱۱۶) سورة المائدة، الآية ۲.

(۱۱۷) سورة البقرة، الآية ۴۵.

(۱۱۸) سورة البقرة، الآية ۱۵۳.

(۱۱۹) سورة الكهف، الآية ۹۵.

تفسير سورة الفاتحة، ص: ۱۳۸

هناك فرق بين الاستعانة و بين العبادة، و المحرم هو عبادة غير اللّه لا الاستعانة به، فيحرم عبادة غير اللّه لأى سبب كان و بأى طريقة كانت. و كما يحرم السجود له كذلك يحرم التمسح به تمسح عبادة.

و كما يحرم السجود له بعنوان كونه ربا و إلها و خالقا.

كذلك يحرم السجود له بعنوان أنه يقربه إلى اللّه زلفى.

أما الاستعانة، فهى لا تلازم الاعتقاد بوجود مؤثر غير اللّه على حد التأثير الإلهى أو الربوبى. بل الاستعانة بالنبى أو الولى، إنما هى من أجل أننا لا نرى فى أنفسنا أهلية الوقوف بين يدى اللّه و الطلب منه بسبب ما اقترفناه، فنطلب من هذا النبى و الولى أن يتولى هو طلب حاجاتنا منه تعالى. فإذا شفى المريض فاللّه- و الحالة هذه- هو الذى شفاه، و إذا قضيت الحاجة فإن اللّه هو الذى قضاها. و هذا ليس من الشرك فى شيء، بل هو عين الإخلاص و المعرفة و التوحيد.

كما أننا حين يعين بعضنا بعضا فليس ذلك بقدرة ذاتية، بل بالقدرة التى أعطانا إياها اللّه، و من المال الذى رزقناه اللّه، إلى آخر ما هنالك.

و هذا من الأمور البديهية التى يدركها حتى الأغبياء، فضلا عن الأذكياء و العلماء.

تفسير سورة الفاتحة، ص: ۱۳۹

الاستعانة باللّه و الجبر الإلهى:

و قد يحلو للبعض أن يصور لنا: أن الاستعانة باللّه سبحانه تعنى: أنه لم يعد لنا أى استقلالية فيما نعمل، بل لم يعد لنا أى دور فى أعمالنا بل هى تنسب إلى اللّه سبحانه، و نحن لا دور لنا فيها، بل نحن مسيرون كما تسيّر أية آلة أخرى بيد محركها.

و نقول:

إن ذلك غير صحيح، فقد قدمنا الحديث عنه تعالى، حيث تحدث هنا بصيغة جمع المتكلمين: نعبد. نستعين. (و تحدثنا عن بعض حكم و أهداف هذا التعبير) و هو تعبير صريح فى أنه تعالى يريد منا: أن نبادر إلى العمل باختيارنا، و بملء إرادتنا.

و بالاستقلال عن كل أحد. فلو كان اللّه هو الذى يفعل، و نحن دورنا دور الآلة، فلا يبقى مورد للعون منه لنا، بل كان ينبغى أن يقول: أنت تفعل و لا تحتاج إلى معين من أحد.

و الحاصل: أن هذا لا ينافى كون التأثير للّه سبحانه، فاللّه سبحانه:

يمدنا بالقوة البدنية، بالسمع، بالبصر، بكل شيء؛ و يفيض علينا الوجود لحظة بعد لحظة.

و أعطانا أيضا حرية توظيف هذه القوى فى الموارد التى تروق لنا. تماما كما هو الحال فى التيار الكهربائى، أو أنابيب المياه، فالذى يمدنا بالماء و الكهرباء هو المولد الكهربائى،

تفسیر سورة الفاتحة، ص: ۱۴۰

و المضخات، و نحن نختار: أن نغتسل فی الماء أو نغسل ثیابنا و وسائلنا، أو أن نسقی به زرعنا، أو أن نشربه، أو أن نغرق فیه حیوانا، أو إنسانا أو ..

و المولد الکهربائی یمدنا بالطاقة و نحن نختار: أن نستعملها فی التدفئة أو فی الإنارة، أو فی جهاز الرادیو، أو تعذیب أو قتل إنسان أیضا.

و لکن یمکن أن یقطع المدد بالماء و بالکهرباء من قبل المضخة، و المولد. فنحن لسنا أحرارا بصورة مطلقة.

و بعد أن نختار الفعل من نوع ما و نحرک یدنا أو لسلننا، أو أی جارحة أخری بالطریقة التی تستکمل العلة التامة عناصر وجودها، فإن اللّه سبحانه وفقا لما أجری علیه سنة الحیاة یفیض الوجود علی ما یختاره العبد، إذا اکتملت عناصر علته التامة، حیث لا بد من تحقق معلولها.

و بعبارة أوضح و أصرح: إنه قد تتعلق إرادة اللّه التکوینیة بالشیء مباشرة، و قد تتعلق إرادته به إذا وجدت علته التامة و التی قد یکون من جملة أجزائها إرادة الإنسان و اختیاره؛ فلابد من وجود المعلول حین وجود علته التامة، وفقا للسنن الحیاتیة و الطبیعیة التی تحکم هذا الکون و تهیمن علیه، و لیس هذا من الجبر فی شیء. بل هو محض الاختیار للإنسان. و إن کان هذا الاختیار

تفسیر سورة الفاتحة، ص: ۱۴۱

محفوفا بالإرادة الإلهیة من الناحیتین. لکن هذه الإرادة لا تصادم اختیار الإنسان و لا تتعرض له بشیء.

تفسیر سورة الفاتحة، ص: ۱۴۳

تفسیر قوله تعالی: اهْدِنَا الصِّراطَ الْمُسْتَقِیمَ

اشارة

تفسیر سورة الفاتحة، ص: ۱۴۵

اهدنا الصراط المستقیم:

هناک عدة أمور لا بد من الحدیث عنها فی هذا المقام، و هی التالیة:

ارتباط الآیة بما قبلها:

لکی نفهم بصورة اعمق مدی ارتباط هذه الآیة بما سبقها، فعلینا أن نشیر إلی التسلسل الطبیعی لما تحدثت عنه الآیات السابقة، فنقول: إنه بعد أن تأکد الاعتقاد باللّه سبحانه، و بصفاته- الجمالیة و الجلالیة- ثم بیوم الدین، فلابد أن تترک هذه الاعتقادات آثارها علی العقل، و المشاعر، و المفاهیم و العواطف، و غیر ذلک. ثم هی قد أنتجت عقائد تفصیلیة أثارت حرکة، و سلوکا، و موقفا هو عبادة توحیدیة خالصة له تعالی.

تفسیر سورة الفاتحة، ص: ۱۴۶

و کان لا بد أن یکون ذلک السلوک و العمل، و تلک العبادة منسجمة مع طبیعة الهدف الذی یسعی إلیه الإنسان، و هو أن یحقق هذا الإنسان ذاته، و یستجمع خصائصه و مزایاه الإنسانیة، و یقیم حالة من التوازن فیما بین تلک الخصائص و المزایا، لیحقق من خلال ذلک انسجامها مع ذلک الهدف، و تناغمها معه بصورة إیجابیة و بنّاءة و دافعة للحرکة الصحیحة باتجاهه، و من ثم باتجاه مواقع

الزلفی و القرب من اللّه سبحانه و تعالی.

و بعبارة أخری: إن الإنسان إنما یسعد بإنسانیته، و باقامة حالة من التوازن بین کل خصائصه و مزایاه و طاقاته بجمیع تنوعاتها، لأن حالة التوازن هـذه هی التی تعطیه السّـلام و الطمأنینـة فی ظل الرضـی، و الرعایـة الإلهیـة. و أی خلل و اهتزاز فی حالة التوازن هذه- بسـبب اقتراف معصیـة، أو بسـبب تربیة خاطئة- سیؤدی إلی اهتزاز هذا السّـلام النفسی و تقویضه، و سینعکس سلبا علی درجة القرب من اللّه سبحانه. قال تعالی: أَلا بِذِکْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ «۱۲۰».

و من الواضح: أن إقامة حالة التوازن هذه، و سعادة الإنسان بإنسانیته، ثم السعی نحو اللّه سبحانه لنیل درجات القرب

---

(۱۲۰) سورة الرعد الآیة ۲۸.

تفسیر سورة الفاتحة، ص: ۱۴۷

و الرضـی منه تعالی، أن ذلک- إنما یتم بالعمل، و الممارسـة، فلا بـد من أطروحـة عملیـة تقـدم لهذا الإنسان نهجا یساعد علی تحقیق ذلک، و تقدم له أیضا قوانین و أحکاما سلوکیة تحمی خطواته علی هذا الطریق من أن تزل و تنحرف. و هو أیضا بحاجة إلی العون و الرعایة و الهدایة.

و لاـ بـد أن نتلمس هـذا النهـج، و تلک النظم و القوانین و الأحکام و نطلبها منه تعالی لأنه سـبحانه- بصـفته رب العالمین- هو وحـده العـارف بمـا خلق، و هو وحـده المطلع علی کـل الغیب و علی جمیع الأسـرار، و هو المربی، و العـالم بطبیعـة المربوب، و العالم بسـبل الوصول إلیه، و الاتصال به.

فقوله: اهْدِنَا الصِّراطَ الْمُسْتَقِیمَ یأتی کنتیجة طبیعیة لقوله تعالی: إِیَّاکَ نَعْبُدُ وَ إِیَّاکَ نَسْتَعِینُ فهو الجهة التی نلجأ إلیها بصورة عفویة و طبیعیة.

فإذا کان لا بـد من عبادة توصل إلیه تعالی، و لا بـد من کـدح و عمل و مواجهة مصاعب و متاعب، فإن طلب المعونة، و طلب الهدایة إلی الضوابط و الأحکام التی تضمن سلامة الحرکة یصبح أمرا ضروریا.

فالعبادة لیست هدفا، و إنما هی وسیلة تستبطن العمل الذی یحقق الهدف و لکی یکون العمل مؤثرا لأثره دون أیة

تفسیر سورة الفاتحة، ص: ۱۴۸

سلبیات، فلابد من نهج و خطة و ضوابط تمنع من الخطأ، و تجعل الحرکة بالاتجاه الصحیح.

الطلب الجازم:

و قـد جـاء طلب الهدایـة هـذا بتّیا و جازمـا، فلم یقل: اهـدنی إن شـئت، أو إن أحببت، لأن المطلوب فی کل دعاء و طلب من اللّه هو ذلک. فقد أمرنا بالإلحاح فی الطلب، و بالجزم و البت فیه.

فإنه تعالی یحب إلحاح الملحین من عباده المؤمنین «۱۲۱».

الإسلام لا یغنی عن طلب الهدایة:

اشارة

و قد یخطر ببال البعض أن یقول: ما دمنا قد أسلمنا و آمنا، فقد حصلت الهدایة، فلماذا نطلبها و هی موجودة لدینا؟ و هل هذا إلا طلب الحاصل؟ و لماذا کلفنا اللّه سبحانه بطلبها فی صلواتنا کل یوم عشر مرات علی الأقل؟

و نقول في الجواب.

أولا: صحيح: أن اللّه سبحانه قد رسم لنا بالإسلام طريق الهداية. و لكن مجرد العمل بأحكامه لا يكفى لتحقيق الهدف

---

(۱۲۱) راجع البحار، ج ۹۲ ص ۱۵۵ و قرب الإسناد، ص ۵.

تفسير سورة الفاتحة، ص: ۱۴۹

المطلوب، و هو أن يحقق الإنسان إنسانيته و يستكمل مزاياها ليصل من خلال ذلك إلى اللّه سبحانه، و ينال درجات القرب منه.

فالكل يصلى، لكن صلاتهم لا تنهاهم عن المنكر، بل بعضهم ينتهى عنه، و بعضهم لا ينتهى، و الذين ينتهون عن المنكر، بعضهم أرسخ امتناعا و انتهاء من بعض.

و عدا عن ذلك فإن الصلاة هى معراج المؤمن، و قربان كل تقى، لكن الكثيرين- و إن كانت صلاتهم تنهاهم عن الفحشاء- لا يكون لهم عروج بها، و لا تكون قربانا لهم، إلا بمقدار ضئيل و ضعيف.

إذ كم من صائم ليس له من صيامه إلا الجوع و الظمأ.

و كم من قائم ليس له من قيامه إلا السهر و العناء «۱۲۲».

و هذا الحد الأدنى من العمل قد يسقط التكليف، و يمنع من العقاب. و لكن قد لا يثاب المرء عليه، و لا يفيده شيئا فى إيصاله إلى هدفه الأسمى.

و قد صرح أمير المؤمنين عليه السّلام، بأن العبادة درجات و مراتب، فقال: (إن قوما عبدوا اللّه رغبة فتلك عبادة التجار.

---

(۱۲۲) نهج البلاغة ج ۳ ص ۱۸۵ (بشرح عبده) الحكمة رقم ۱۴۵، و البحار ج ۹۳ ص ۲۹۴ و راجع ص ۲۹۳.

تفسير سورة الفاتحة، ص: ۱۵۰

و أن قوما عبدوا اللّه رهبة فتلك عبادة العبيد. و أن قوما عبدوا اللّه شكرا فتلك عبادة الأحرار) «۱۲۳»

و هو الذى يقول: (ما عبدتك خوفا من عقابك، و لا طمعا فى ثوابك، و لكنى وجدتك أهلا للعبادة فعبدتك) «۱۲۴».

فالعمل الذى يسقط التكليف هو الخطوة الأولى فى رحلة الألف ميل، ثم بقدر إخلاص الإنسان فى عبادته، و بقدر ما يبذله من جهد، بقدر ما يكون القرب و الرضى.

فإذا كان الإنسان فى درجة و مرتبة، فإنه يحتاج إلى الهداية و إلى المعونة لينتقل منها إلى درجة أعلى، ثم إلى الاعلى منها، و هكذا ..

و وسائل ذلك هو الصبر، و الإخلاص و الجهد، و جهاد النفس.

و لكل منزلة و درجة خصوصياتها و آفاقها، و مسؤولياتها التى تختلف فى حجمها و تفاصيلها عن سابقتها. و لها كذلك واجباتها التى تنسجم معها، و مع ما استجد لهذا الإنسان، و ما انفتح عليه من معارف و آفاق، و أحوال و غيرها .. فهى إذن تحتاج إلى هدايات إلهية جديدة، ليعرف كيف يتعامل مع هذا الواقع الجديد،

---

(۱۲۳) نهج البلاغة (بشرح عبده) مطبعة الاستقامة بمصر ج ۳ ص ۲۰۵ الحكمة رقم ۲۳۷.

(۱۲۴) مستدرك سفينة البحار ج ۷ ص ۵۵.

تفسير سورة الفاتحة، ص: ۱۵۱

تفسير سورة الفاتحة ۲۱۹

ليتفاعل، ثم ليتأقلم معه، و ليتمكن من تهيئة الوسائل لاستمرار تحركه باتجاه مراحل أخرى أرحب و أوسع و أرقى. فلابد له من هداية

فی محیطه قبل الانتقال، ثم هدایـة فی حرکته الانتقالیـة، ثم هدایـة ثالثـة حین بلوغه المرحلـة الجدیدة. فهو کالمسافر الذی یحتاج إلی هدایـة أولیـة، ثم إلی هـدایات فی کل مرحلـة یصل إلیها، ثم إلی هدایة بعد الوصول لیکون علی علم بتفاصیل و حالات و مناخ البلد الذی وصل إلیه.

و العبادة و القرب من اللّه سبحانه لا ینحصر بالصلاة و الصوم و الحج .. بل إن کل عمل یمکن أن یکون عبادة. و قد یکون تفکرک باللّه، و محاسبتک نفسک فی آخر ساعة من نهار أفضل من عامة عباداتک، الخاویة و الخالیة من الإخلاص و التفکر، بل قد یصاحبها ریاء و عجب، یخرجها من دائرة کونها مظهرا من مظاهر التوحید، لتکون شرکا موبقا و مهلکا.

و قـد یکون نومک عبادة إذا کنت صائما. و لا تکون صـلاتک عبادة، کما أن کدک علی عیالک، و إحسانک لوالدیک و مرابطتک علی الثغور، و سـعیک فی قضاء حاجات المؤمنین، قد یوصلک إلی الدرجات العلی، و المراتب السامیة، التی ترفعک إلی درجة عبادة الأحرار. و إذا کانت کل درجة تجعل الإنسان ینفتح علی اللّه سبحانه، بعقله و وعیه، و فکره و معرفته بصورة أتم و أکبر، فإن صلاته- إذا بلغ بعض المراحل- ربما تصیر أکثر معراجیة،

تفسیر سورة الفاتحة، ص: ۱۵۲

و أشـد نهیا له عن المنکر، و أمرا له بالمزید من المعروف. ثم یصبح دعاؤه مستجابا. بل قد یصبح المستحب عنده واجبا، و المکروه حراما، و الصغیرة من الذنوب یراها کبیرة. ثم یزداد تکاملا و رقیا حتی یصبح یری بعین اللّه، و ینطق بما یریده اللّه، و یصیر یومه أفضل من أمسه. و یفهم بعمق مغزی قول علی علیه السّلام: من اعتدل یوماه فهو مغبون «۱۲۵».

و یلحق من ثم بدرجات الأولیاء و الأصفیاء.

و هذا هو السیر الطبیعی الذی مر به الأنبیاء و الأوصیاء، فوصلوا إلی ما یریدون، و نالوا ما یشتهون بعلمهم و بجهدهم و جهادهم. و إن علمهم بالحلال و الحرام تفسیر القرآن، و إن کـان واحـدا، و لکنهم یتفـاوتون فی علمهم بملکوت اللّه سـبحانه، و بأسـرار الخلیقـة. و یزدادون فی علمهم هذا، کما جاء فی بعض الروایات «۱۲۶».

فالحاجـة إلی هدایـة اللّه و تسدیـده، و معونته و توفیقه، و فتـح آفـاق المعرفـة بـاللّه، و الالتـذاذ بقربه، و إدراک ألطـافه، و التفاعـل مع برکاته. هذه الحاجة مستمرة و متجددة، و تحتاج إلی هدایة بعد

---

(۱۲۵) البحار ج ۶۸ ص ۱۸۱. و معانی الأخبار ص ۱۹۸. و أمالی الصدوق ص ۳۵۲. و أمالی الشیخ الطوسی ص ۴۴۷ ط سنة ۱۴۰۱ ه. ق. و أعلام الدین ص ۳۰۳.

(۱۲۶) تفسیر البرهان ج ۱ ص ۱۷.

تفسیر سورة الفاتحة، ص: ۱۵۳

هدایة. و لا بد من طلبها منه تعالی. و لا بد من الإلحاح و الإصرار علی هذا الطلب ".اهدنا الصراط المستقیم."

و ثانیا: إن المراد هو استمرار الهدایة الإلهیة، لأنه إذا و کلنا إلی أنفسنا فإن أهواءنا و شهواتنا، و المغریات و الضغوطات تتسلط علینا فتزین لنا الانحراف و الخطأ. حتی لنری الحق باطلا، و الباطل حقا، و نقع فی المآثم و المظالم، و نصبح فی ظلمات بعضها فوق بعض.

کَلَّا بَلْ رانَ عَلی قُلُوبِهِمْ ما کانُوا یَکْسِبُونَ «۱۲۷».

فَلَمَّا زاغُوا أَزاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ «۱۲۸».

و فی ناحیة الهدایة أیضا یکون الأمر کذلک. قال تعالی:

وَ الَّذِینَ اهْتَدَوْا زادَهُمْ هُدیً، وَ آتاهُمْ تَقْواهُمْ «۱۲۹».

و قال سبحانه: هُدیً لِلْمُتَّقِینَ «۱۳۰».

فالحاجهٔ إلی المعونهٔ و الهدایهٔ قائمهٔ و دائمهٔ. فطلبها لا بد أن یستمر، لیشملک اللطف الإلهی الغامر. أما إذا انقطعت عن طلب الهدایهٔ، و أحسست بعدم الحاجهٔ إلیها، فقد قطعت صلتک

(۱۲۷) سورهٔ المطففین، الآیهٔ ۱۴.

(۱۲۸) سورهٔ الصف، الآیهٔ ۵.

(۱۲۹) سورهٔ محمد، الآیهٔ ۱۷.

(۱۳۰) سورهٔ البقرهٔ، الآیهٔ ۲.

تفسیر سورهٔ الفاتحهٔ، ص: ۱۵۴

باللّه، و استوجبت قطع اللطف الإلهی عنک، و أصبحت عرضهٔ للأهواء و الشهوات، لتتلاعب بک، و للشیاطین لتغویک و تطغیک.

و هذا ما لا یرغب به عاقل، و لا یرضی به حتی جاهل.

و نجد فی اللغهٔ العربیهٔ ما یشهد لکون اهدنا بمعنی ثبتنا.

و ذلک فیما لو قلت لأحدهم: قف حتی أعود إلیک.

فکلمهٔ: قف، یطلب بها الثبات علی حالهٔ الوقوف. و لیس المطلوب، أن یقف بعد أن یکون قاعدا. و کلمهٔ اهدنا هی الأخری من هذا القبیل.

أنواع الهدایهٔ و أقسامها:

اشارهٔ

و قد قسم بعضهم الهدایهٔ إلی أربعهٔ أقسام هی:

هدایهٔ الإلهام: و هی نوع من الهدایات التی تدفع الطفل لتناول ثدی أمه، و الارتضاع منه بمجرد أن ینفصل عن رحم أمه؛ فالحواس وحدها لا یمکن أن تدفعه إلی ممارسهٔ هذا الفن الرفیع.

و کذلک لیس لدیه من الإدراک فی تلک الفترهٔ ما یمکنه من ذلک، فضلا عن أن یتعلم ذلک من معلم أو أن یقرأه فی کتاب، أو غیره.

الهدایهٔ الحسیهٔ: فإن الحواس لها دور فی الهدایهٔ، فالبصر یهدی إلی الأشکال و الأحجام و الألوان. و بالسمع تهتدی

تفسیر سورهٔ الفاتحهٔ، ص: ۱۵۵

إلی الأصوات، و تمیز بینها، و تعرف الشجی من النشاز. و القوی من الضعیف، و ما إلی ذلک.

و بواسطهٔ اللمس تعرف الحار و البارد، و اللین و القاسی، و الخشن و الأملس الخ ..

و کذلک بالنسبهٔ إلی حاسهٔ الشم فی المشمومات، و حاسهٔ الذوق فی المطعوم و المشروب.

الهدایهٔ العقلیهٔ: التی ندرک بها ما لا یقع تحت قدرهٔ الحواس، و لا ینال بالإلهام، و ذلک مثل الحسن، و القبح، و العدل و الظلم، و التوافق و التضاد، و التناقض و عدمه و ما إلی ذلک.

الهدایهٔ الشرعیهٔ: و هی تکون فیما یعجز العقل عن درک کنهه، و یقف حائرا أمامه. و قد تحول الأهواء، و الغرائز و الشهوات دون وصول العقل إلیه، حینما تهیمن علیه تلک الأهواء و الشهوات، و تفقده القدرهٔ علی التمییز، فتشتبه علیه الأمور، و یخلط الحق بالباطل. فیأتی دور الشرع لیحل محل العقل فی الهدایهٔ و البیان.

و بعد هذا البیان نقول: کأنهم یریدون أن یقولوا: إن معنی الآیهٔ الشریفهٔ هو: اهدنا إلی شریعتک، و بها، فی المواقع التی یعجز العقل، و الإلهام، و الحواس عن إدراک وجه الصواب فیها.

تفسیر سورهٔ الفاتحهٔ، ص: ۱۵۶

و نقول: إن هذا البیان غیر مقبول.

أولا: لأنه کلام غائم، و لا سیما فیما یرتبط بقدرات العقل علی الإدراک، و حدوده و مجالاته.

ثانیا: إن الهدایهٔ علی تفسیرهم هذا تنتهی بمجرد تعلیم الشریعهٔ، فإذا عرفت أحکامها فلا حاجهٔ لقوله اهدنا کل یوم عشر مرات أو أکثر، لأن أمور الشریعهٔ و الدین محددهٔ و لا زیادهٔ فیها، و الزیادهٔ إنما هی فیما هو خارج عنها.

ثالثا: قد ذکرنا فیما تقدم: أن الهدایهٔ لیست مجرد تلقین و دلالهٔ، ثم تقبل أو لا تقبل، علی حد قوله تعالی: هَدَیْناهُ النَّجْدَیْنِ إِمَّا شاکِراً وَ إِمَّا کَفُوراً. بل الهدایهٔ إلی النجدین هی إحدی مراتبها.

و توضیح ذلک:

هذه الهدایهٔ لیست هی- کما یقول بعضهم- التوفیق الإلهی. لیردّ علیه بعض آخر: بأن الهدایات التوفیقیهٔ خاصهٔ بالأنبیاء «۱۳۱».

---

(۱۳۱) هذا إذا أرید بالتوفیق الإلهی، الوحی. أما لو الأعم منه، فلا یختص التوفیق بالأنبیاء حسبما أوضحناه.

تفسیر سورهٔ الفاتحهٔ، ص: ۱۵۷

بل هی هدایهٔ بعد هدایهٔ تزید و تتسع باستمرار، تبعا لما یستجد للإنسان من معارف، و تنفتح أمامه من آفاق. و یواجهه من أمور جدیدهٔ تحتاج إلی حل، و إلی استکناه حقیقتها، و الانسیاب فی آفاقها.

و ذلک علی حد قوله تعالی: وَ الَّذِینَ اهْتَدَوْا زادَهُمْ هُدیً فإن المعرفهٔ کلما اتسعت، کلما زادت معرفهٔ الإنسان بحجم المجهولات التی یحتاج إلی کشفها. و کثرت الألغاز التی تحتاج منه إلی حل، فإن الخیر یوصل بعضه إلی بعض، و یهدی بعضه إلی بعض، کما و یشد بعضه أزر بعض.

و لا یختص ذلک بالأنبیاء، ما دام أن عبادات الإنسان، و التزامه بأحکام اللّه من الأوامر و الزواجر له آثاره علیه، فتصقل روحه، و فکره و عقله و تجربته؛ و تزید من طاقاته، و تهیؤه لنیل مراتب أعلی و أرقی.

و بالوصول إلیها، و الحصول علیها یکتسب المزید، فیوظفه لنیل موقع جدید من مواقع القرب و الزلفی له تعالی، و یصبح أقدر علی مواجهة نفسه، و صدها عن شهواتها، ثم مواجهة المغریات و المشکلات بعزم أشد، و قدرات أعظم.

تفسیر سورهٔ الفاتحهٔ، ص: ۱۵۸

الهدایهٔ و الجبر الإلهی:

و قد ادعی بعض المفسرین: أن قوله تعالی ":اهْدِنَا الصِّراطَ الخ " ..یدل علی صحهٔ قول الأشاعرهٔ: إنه تعالی هو فاعل الخیر و الشر. أما العبد فلا یوجد فعله و لا یخلقه. و لذا نسبت الهدایهٔ هنا للّه تعالی؛ فهو الذی یفعل و یوجد.

و لکنه نسب الضلال للعبد فی قوله ":و لا الضالین، "مع أن اللّه سبحانه هو الذی یضلهم- تأدبا معه تعالی ..

إذن فقوله تعالی ":اهدنا "یمثل ردا علی المعتزلهٔ و الرافضهٔ.

و نقول:

إن هذا التأدب– لو صح– فهو دلیل علی قبح صدور ذلک منه تعالی. و إذا لم یجز نسبهٔ القبح إلیه تعالی لفظا، فما بالک بنسبته إلیه و صدورها منه خارجا؟!

إن المراد من– اهـدنا– لیس هو إیجاد الهدایهٔ بطریق جبری و قسری و تکوینی، بل المراد: هو المساعدهٔ فی الهدایهٔ، فإذا قلت لإنسان: ساعدنا علی هذا الأمر، فإنک أنت الذی تبذل الجهد، و تعمل، و تؤثر فیه بصورهٔ مباشرهٔ ثم یساعدک الآخرون.

و إذا کانت الهدایـهٔ بمعنی الدلالـهٔ، و التوفیق و التسدید، فالأمر یصـیر أوضح؛ فإنک إذا قلت لرجل: اهدنی و دلنی، فإن دلالته لک لا تعنی أنه قد خلق المعرفهٔ فیک و أجبرک علیها. بل هو یدلک، و أنت تختار أن تعمل بهذه الدلالهٔ، أو لا تعمل.

تفسیر سورهٔ الفاتحهٔ، ص: ۱۵۹

إنه سبحانه فی نفس سورهٔ الحمـد، قـد نسب الفعل إلی العبد. و ذلک فی قوله: نعبد. نسـتعین. فأنت الذی تعبد. و أنت الذی تفعل، و ترید منه أن یعینک، و یقویک، و ینشطک، و یشجعک لتحقق المزید من النجاح و الفلاح، ثم تطلب المزید من الهدایهٔ و الدلالهٔ إلی کل ما یوجب القرب، و المزید من المحفزات و المشجعات، و التوفیقات و البرکات.

و لو صـح ما ذکروه فی "اهـدنا "للزم التناقض بینه و بین "نعبـد. نسـتعین. الضالین. حیث جعل اللّه فیها معینا هنا. و مجبرا علی الهـدایهٔ خالقا لها هناک.

و إذا صح: أنه نسب الضلال إلینا تأدبا.

فلماذا نسب إلینا الفعل فی نعبد و نستعین، إذ لا معنی للتأدب فیهما لننسبهما إلی غیره تعالی. إذ لا قبح فی نسبتهما إلیه سبحانه.

إهدنا الصراط أو إلی الصراط:

اشارهٔ

و قد یدور بخلد البعض هنا سؤال، و هو: لماذا قال سـبحانه هنا: اهدنا الصـراط المسـتقیم، و لم یقل اهدنا إلی الصـراط؟! فما هو الفرق بین التعدیهٔ المباشرهٔ، و تسلط الفعل علی المفعول مباشرهٔ و بین التعدیهٔ بواسطهٔ حرف الجر.

تفسیر سورهٔ الفاتحهٔ، ص: ۱۶۰

و الجواب:

إن التعدیهٔ المباشـرهٔ تشیر إلی الهدایهٔ الحسیهٔ، أما التعدیهٔ بإلی. فتشیر إلی الهدایهٔ الإرشادیهٔ. أی أن الأولی تصلک بالصراط المستقیم، فتلمسه بیدک. و الثانیهٔ ترشدک إلی الصراط، و تدلک علیه و لو من بعید.

و من الواضـح: أن الهدایـهٔ الحسـیهٔ التی یتجسد الواقع فیها أمامک أشد إغراء و دعوهٔ. و هی التی یحصل فیها الإنسان علی السـکون و الیقین، بصورهٔ اعمق و أشد. و هی الأقوی و الأجلی و الأوضح. ثم هی الأضـمن للوصول. من أیهٔ هدایهٔ أخری. و هی أقصـی درجات الهدایهٔ، و أشدها قطعیهٔ.

و نحن بحاجهٔ ماسهٔ إلی هذا الضـمان، و إلی السکون و الاطمئنان، لخطورهٔ الأمر، من حیث کونه یتعلق بمصیر الإنسان، و بکل حیاته و وجوده و حرکته.

فکـأنه قـال: اجعلنا نتحسـس الصـراط بصورهٔ مباشـرهٔ، و لا تکتف بمجرد الدلالـهٔ الإرشادیـهٔ إلیه، لأننا نریـد أن نسـلکه، لنصل منه إلی الهدف الأسمی، و الغایهٔ الفضلی.

مناقشهٔ و ردّها:

و قد يقال: إننا لا نجد فرقا بين قولنا دخلت الدار، و دخلت إلى الدار و نقول:

تفسير سورة الفاتحة، ص: ۱۶۱

أولاـ هـذا صـحيح فى هـذا المثـال، و لكنه ليس صـحيحا فى سـائر الموارد، و السـبب فى ذلك هو أن مادة: (دخل) تختلف عن مادة (هدى). فإن (دخل) لا تقبل إلا نوعا واحدا من المعنى، و هو الولوج فى الشىء.

أما كلمـة (هـدى) فهى قابلـة لأكثر من نوع من المعنى، فهناك هداية حسـية، و هناك هداية إرشادية الخ .. فهدى الصـراط تشـير إلى الحسية، و إلى الصراط تشير إلى الإرشادية، فلا يصح قياس الثانية على الأولى.

ثانيا: إننا بالرغم مما ذكرناه أنفا- نشعر بوجود فرق بين قولنا: دخلت الدار، و دخلت إلى الدار.

فإن قلت: (إلى الـدار) فإنك تكون قـد لاحظت كيفية الدخول، و آليته، و الطريق إليه، و لم تلحظ فى قولك: (دخلت الدار) شـيئا من ذلك.

الصراط المستقيم:

اشارة

و قد ورد فى العديد من الروايات: أن المقصود بالصراط المستقيم: الإسلام.

و فى بعضها: على بن أبى طالب عليه السّلام.

و فى بعضها: الأئمة عليهم السّلام.

فلماذا اختلفت الروايات؟! و هل هى متضادة فيما بينها؟.

تفسير سورة الفاتحة، ص: ۱۶۲

الجواب:

إنها غير متضادة، لأننا إذا اهتدينا إلى على عليه السّلام، و إلى الأئمة صلوات اللّه عليهم أجمعين، فإننا نهتدى إلى الإسلام.

و إذا اهتدينا إلى الإسـلام، فإنه يهدينا إلى على عليه السّلام و الأئمة عليهم السّلام، لأن المقصود بعلى هو على المعصوم و الهادى إلى الحق، و ليس المقصود هو الرجل المكون من لحم و دم

و ينشأ من هذا البيان سؤال.

اشارة

و هو أنه لماذا عدل سبحانه عن كلمة الإسلام، أو على، أو الأئمة إلى كلمة الصراط .. أى لماذا لم يقل: إهدنا إلى الإسلام، مثلا؟.

و نجيب:

أولا: إن الهدف هو الوصول إلى اللّه سبحانه، و نيل درجات الزلفى لديه. و الإسلام وسيلة للوصول إلى الهدف، و على و الأئمة عليهم السّلام هم الإدلاء و الهداة، إلى تلك الوسيلة، و المعينون على الوصول.

و قد أراد اللّه سـبحانه من عدوله عن التصـريح بذلك أن يشعر هذا الإنسان بأن ثمة غاية سامية، و هدفا مقدسا، لا بد أن يسعى إليه، و

یسلک السبل الموصلة، و یتطلب الهدایة من الإدلاء علیه.

تفسیر سورة الفاتحة، ص: ۱۶۳

فإذا تحدث عن صراط و طریق، علم أن للطریق نهایة، و للصراط غایة. و علی الإنسان أن یتساءل عنها، و یبحث و یستدل. فإذا عرف أنها رضا اللّه سبحانه. فإنه سوف لن یتساهل فی جعلها نصب عینیه فی کل موقف، و حرکة و سلوک.

أما کلمة: (الإسلام) أو (الأئمة) أو (علی) فهی لا تدل علی ذلک بصورة مباشرة أو غیر مباشرة، بل لا بد من التماس البیان من جهات أخری، و قد لا یخطر علی البال طلب بیان من هذا القبیل.

ثانیا: إن اللّه سبحانه أراد أن یشیر إلی القیمة السامیة لأحکام الإسلام، فإذا شعر الإنسان بأن الإسلام هو الصراط المستقیم، الموصل إلی اللّه سبحانه، فإن الشعور یعطی المضمون الإسلامی فی مجال الممارسة قیمة روحیة و إیمانیة. و یدفع إلی المزید من الارتباط الروحی و المعنوی بالإسلام، و إلی المزید من الإخلاص، و التقدیر، و التقدیس.

إذن، فلا مجال لأن تکون صلاة هذا الإنسان کنقر الغراب، و لا لأن تکون عباداته مجرد طقوس، و حرکات خاویة.

بل علیه أن یدرک أن الإسلام، و الإمام، و الأئمة لیسوا هم الهدف المقصود لذاته. و إنما هم وسائل و وسائط علیه أن یستفید منهم للدلالة و الهدایة، و المعونة فی الوصول إلی الهدف و الحصول علیه.

تفسیر سورة الفاتحة، ص: ۱۶۴

إنهم هم الأکثر قدرة علی المساعدة فی الوصول إلی الأهداف العلیا، و الغایات السامیة. و ذلک بما لدیهم من معرفة دقیقة و عمیقة، ثم بما لهم من قیمة روحیة و معنویة، و بموقعهم المتمیز فی التکوین الإیمانی و العقیدی للإنسان المسلم.

ثالثا: إن ذلک یبعد الإنسان عن ان یتعصب لغیر جهة تبرر التعصب المعقول و المقبول. حیث یفهمه أن المطلوب لیس هو التعصب للإسلام، لأنه دین موروث، فإن التعصب للإسلام أی بما هو موروث یکون جریمة کبیرة و عظیمة، و إنما المطلوب هو التعصب للإسلام، لأنه الصراط المستقیم، و لأنه الحق و الصدق.

و ما سواه باطل و مزیف، أو مشوه و محرف.

(ال) فی الصراط للجنس أو للعهد:

و قد یسأل البعض عن کلمة (ال) فی الصراط هل هی للجنس، أو للعهد؟!

و نقول:

إنه لا مبرر لکونها عهدیة، لأن العهد إما ذکری، أو ذهنی أو خارجی. و لم یتضح توفر أی من هذه الأمور الثلاثة فی هذا المورد.

و حتی لو کانت عهدیة، فإنه العهد، إنما هو للإسلام، أو الدین الحق.

تفسیر سورة الفاتحة، ص: ۱۶۵

و حین تکون جنسیة فذلک أقوی فی الدلالة علی المقصود، حیث تشیر إلی أن طبیعة الصراط المستقیم هی الإیصال إلی الهدف.

فیکون المراد: أن الصراط جنس منحصر فی فرد، کالشمس، التی هی معنی عام و کلی منحصر فی هذا الجرم السماوی المضیء بالنهار و إذا أنحصر الجنس فی فرد، فإن کل القلوب و العقول، و الأبصار، و حرکة الید فی إشاراتها تتوجه إلیه مباشرة و إلی خصوصیته، بسبب تفرده و تعینه.

وصف الصِّراطَ بالمستقیم: لماذا؟!

قالوا: إن کلمة (الصِّراطَ) تعنی الخط الأقرب بین نقطتین. فهو إذن یستبطن الاستقامة. لأن أقرب خط بین نقطتین هو الخط المستقیم و

هذا الخط واحد، و لا یمکن التعدد فیه.

و هو أیضا یصلک بالهدف بصورة مباشرة.

و لذا، لو افترضنا خطین متوازیین یسیران، فإنهما لن یلتقیا فی نقطة و هدف واحد، بل یصل إلیه أحدهما دون الآخر. اما فی صورة التعرج فقد یصل الخطان إلی الهدف، و قد یکون التخلف عنه منهما معا، أو من أحدهما.

تفسیر سورة الفاتحة، ص: ۱۶۶

و الخطوط المتعرجة تکون:

أطول.

و تتعدد.

و قد لا توصلک إلی الهدف.

و قد أشار سبحانه إلی ذلک حین قال: وَ أَنَّ هذا صِراطِی مُسْتَقِیماً فَاتَّبِعُوهُ، وَ لا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِکُمْ عَنْ سَبِیلِهِ «۱۳۲».

و الخط المستقیم باتجاه هدف إذا انحرف عن الاستقامة، فإنه لن یصل إلی الهدف قطعا. نعم لو انحرف مرة أخری فإن کان الانحراف الثانی باتجاه الهدف، فإنه یصل إلیه، و إن لم یکن باتجاهه فإنه یحتاج إلی انحراف آخر، و هکذا.

فإن کان الصراط یستبطن معنی الاستقامة حقا، فإن المقصود هنا من کلمة: (الْمُسْتَقِیمَ) هو التأکید علی خصوصیة الصراط هذه، و ذلک من أجل:

التصریح و التأکید علی أقربیته إلی الهدف بالنسبة لسائر الطرق، بدلا من الاعتماد علی الانتقال من المعنی الترکیبی إلی المعنی التجزیئی، الذی یفصل الصفة عن موصوفها ذهنا.

---

(۱۳۲) سورة الأنعام الآیة ۱۵۳.

تفسیر سورة الفاتحة، ص: ۱۶۷

الإشارة إلی قصره، و سرعة الوصول من خلاله إلی درجات القرب و الفوز بها.

الإشارة إلی أنه الطریق الواحد، الذی لا ثانی له.

الإشارة إلی إیصاله الأکید، فی مقابل غیره مما قد لا یوصل أصلا.

تفسیر سورة الفاتحة، ص: ۱۶۹

تفسیر قوله تعالی: صِراطَ الَّذِینَ أَنْعَمْتَ عَلَیْهِمْ غَیْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَیْهِمْ وَ لَا الضَّالِّینَ

اشارة

تفسیر سورة الفاتحة، ص: ۱۷۱

نسبة الصراط إلی غیر اللّه سبحانه:

اشارة

إن من یراجع الآیات القرآنیة یجد: أنها جمیعا باستثناء آیتین قد نسبت الصراط إلی اللّه سبحانه. فاقرأ الآیات التالیة، و قس علیها غیرها

صِراطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ* «۱۳۳».

صِراطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيماً «۱۳۴».

وَ أَنَّ هذا صِراطِی مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ «۱۳۵».

صِراطِ اللَّهِ «۱۳۶».

و الآيتان اللتان نسب فيهما الصراط لغير اللّه هما:

---

(۱۳۳) سورة سبأ، الآية ۶. و سورة إبراهيم، الآية ۱.

(۱۳۴) سورة الأنعام، الآية ۱۲۶.

(۱۳۵) سورة الأنعام، الآية ۱۵۳.

(۱۳۶) سورة الشورى، الآية ۵۳.

تفسير سورة الفاتحة، ص: ۱۷۲

قوله تعالى: قُلْ: إِنَّنِی هَدانِی رَبِّی إِلی صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ، دِيناً قِيَماً «۱۳۷».

فإنه اعتبر فی هذه الآية: أن الصِّراطَ الْمُسْتَقِيمَ هو الدين القيم، أی هو صراط موصوف بأنه دين قيم ..

و لكنه تعالى أيضا لم ينسب فی هذه الآية الصِّراطَ إلى أحد.

بل تركه عرضة للاحتمالات، مع العلم أن الدين القيم هو صراط اللّه سبحانه أيضا.

فينحصر نسبة الصِّراطَ لغير اللّه سبحانه فی خصوص:

آية سورة الفاتحة: صِراطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ..

فهنا أسئلة ثلاثة:

اشارة

الأول: لماذا اختصت سورة الفاتحة بهذا الأمر؟

الثانی: ما هو السبب فی نسبة الصراط هنا فقط لغير اللّه سبحانه؟

الثالث: لماذا احتاج إلى هذا التفصيل بعد قوله: الصراط المستقيم؟

---

(۱۳۷) سورة الأنعام، الآية ۱۶۱.

تفسير سورة الفاتحة، ص: ۱۷۳

و نقول فی الجواب عن هذه الأسئلة:

أولا: إن نسبة الصراط فی سورة الفاتحة إلى الذين أنعم اللّه عليهم ليس معناها أنه لم ينسبه فيها إلى نفسه، و ذلك لأن صراطهم هو فی النتيجة و المآل صراط اللّه سبحانه. فهو ينسبه إليهم، لأنه صراطهم الذی اختاروه و مشوا فيه و قطعوه .. و إن كان اللّه سبحانه هو الذی سنّه و شرعه لهم.

ثانيا: إن اللّه تعالى حين نسب الصراط، للذين أنعم عليهم، فقد أراد أن يقول: إن الذی اهتدى إلى صراطه المستقيم، فإنما اهتدى إليه

بنعمهٔ منه تعالی و بفضله و هدایته؛ فیکون ذلک أدعی للإخلاص له، و الارتباط به سبحانه و تعالی.

و لیس هذا الاهتداء نتیجهٔ لقدرات ذاتیهٔ بشریهٔ کامنهٔ، و من خلال جهد شخصی، بعید عن تسدید اللّه سبحانه، و هدایته، و أفضاله.

و ثالثا: إنه إذا ظهر لنا أن الآخرین قد اهتدوا إلی هذا الصراط، فإن ذلک یجعلنا نطمئن إلی إمکانیهٔ تحقق ذلک بالنسبهٔ إلینا أیضا، فهو إذن لیس أمرا نظریا تجریدیا لا واقعیهٔ له، أو لیس فوق طاقهٔ البشر، أو غیر قابل للتطبیق، بسبب ظروف موضوعیهٔ ذات طابع معین.

تفسیر سورهٔ الفاتحهٔ، ص: ۱۷۴

و رابعا: إنه تعالی فی خصوص هـذه السورهٔ التی لا بـد أن نقرأها فی صـلاتنا عشـر مرات علی الأقل یومیا، یرید أن یجسد لنا الأسوهٔ و القدوهٔ واقعا حیا یمکن أن نترسم خطاه، و نهتدی بهدیه.

و ذلـک لأـن الإنسان- بطبیعته- یتعامل مع الأمور من خلال حواسه الظاهریـهٔ بالدرجـهٔ الأولی، ثم ینتزع من القضایا المحسوسـهٔ قضایا تصوریهٔ، ثم یبحث عن قواسمها المشترکهٔ و یسقط خصوصیاتها، لیکتشف المبدأ و النظریهٔ، و القاسم المشترک، و القاعدهٔ.

و قد أراد سبحانه لنا هنا: أن یجسد لنا هدیه و تعالیمه لننتقل من المضمون الواقعی و الحسی، الغنی بالقیم و الجمالات، لیمثل لنا إغراء یـدعونا إلی الاندفاع إلیه، و الالتزام به، و التعاطی معه، من موقع الوعی، و المشاعر المرتکزهٔ إلی مناشـئها، فنکون أکثر اقتناعا، و أعمق إیمانا، و أشد تمسکا و التزاما به. حتی إننا لنضحی من أجله بالغالی و النفیس حین یقتضی الأمر ذلک.

أما إذا اقتصـر علی المضـمون التصوری، و التخیلی التجریدی، فإن الاندفاع لن یکون بالمستوی المطلوب، بل سوف یعانی من حالات التردد و الخوف من جدوی أو من إمکانیهٔ و واقعیهٔ ما یطلب منه. و لن یکون فی موقع الرضـی و الثبات و الطمأنینهٔ فی الممارسهٔ و فی الموقف.

تفسیر سورهٔ الفاتحهٔ، ص: ۱۷۵

و لا أقل من أن ذلک لن یکون قادرا علی الإثارهٔ و الإغراء بمستوی ما لو کان المضمون حسیا و متجسدا.

أضف إلی ما تقدم: أن من مصـلحهٔ الإنسان أن یتطلب أقصـی درجات الهدایهٔ و أجداها و أوضـحها، و أشدها تأثیرا، و الهدایهٔ الحسیهٔ هی الأقوی و الأجدی حیث تریک القیم، و الجمالات متجسدهٔ أمامک، و تدفع بک، و تشدک إلیها.

فإذا صاحب ذلک تنفیر، و تخویف من صـراط الضالین و المغضوب علیهم. فإن کل المقومات المطلوبهٔ للاندفاع بقوهٔ تصبح جاهزهٔ و مستعدهٔ للتأثیر و للتحریک باتجاه الهدف الأقصی و الأسمی.

و بعبـارهٔ أوضـح: إن النعمـهٔ و الاستزادهٔ هی هـدف الطالب فی جامعته، و هـدف المزارع فی حقله، و هـدف العابـد فی محرابه، و .. و یتحرک الإنسان من أجل الحصول علیها بصورهٔ عفویهٔ فیسلک إلیها أقرب السبل و أکثرها أمنا. و هو الصراط المستقیم.

فإحسـاسه بـأن ثمـهٔ نعمـهٔ و ثمـهٔ استزادهٔ، یمثل دافعا له إلی التحرک نحوها. و إن الغضب الإلهی- و اللّه سـبحانه هو أعظم قوهٔ تملک التصـرف فی حیـاهٔ و شؤون الإنسـان و غیر الإنسـان. ثم الضـلال عن الهـدف، و عن طریق الوصول إلیه، نعم، إن هـذا الغضب و ذلک الضلال لما کان الإنسان ینفر منه و یبتعد عنه

تفسیر سورهٔ الفاتحهٔ، ص: ۱۷۶

بصورهٔ عفویـهٔ أیضـا .. لأـن الغضب و الضـلال یوحیـان بزوال النعمـهٔ، أو بعـدم الحصول علیهـا، فلاـ بـد له إذن من الابتعـاد عن سـبل المغضوب علیهم و الضالین لتفادی أیهٔ سلبیهٔ تنشأ من اتباع سبیلهما.

و یلاحـظ أخیرا: أنه تعـالی قـد عبّر بکلمـهٔ "أنعمت "التی تفیـد معنی ینطبق علی جمیع الأـمور التی تعنی الإنسان من صـحهٔ أو مال أو قـدرهٔ، أو جاه أو هدایـهٔ أو علم، أو أمن أو أی شـیء آخر یسـهم فی إسـعاد الإنسان، و یمکن له أن یحصل علیه. و هـذا نوع آخر من الترغیب و التحفیز للسیر علی ذلک الصراط.

و کل ذلک یفسـر لنا السبب فی أن ذلک قـد ورد فی سورهٔ الفاتحـهٔ التی تتکرر فی کل یوم عشـر مرات علی الأقل. فقد أرید منه أن

یصبح خلقا، و طریقهٔ، و حرکهٔ عفویهٔ، من خلال ارتکاز ذلک فی نفس الإنسان و روحه و کل وجوده.

النعمهٔ و النقمهٔ:

و قـد یتخیل البعض: أن الذین أنعم اللّه علیهم. قد تسـببت لهم نفس تلک النعمهٔ بالنقمات، فقد أوذی الأنبیاء، و قتل الحسـین بن علی علیه السّلام فی کربلاء بصورهٔ مفجعهٔ. و قال علی علیه السّلام لأهل العراق ":لقد ملأتم قلبی قیحا «"۱۳۸».

(۱۳۸) نهج البلاغهٔ- بشرح عبده- الخطبهٔ رقم ۲۶ ج ۱ ص ۶۶.

تفسیر سورهٔ الفاتحهٔ، ص: ۱۷۷

و مع هذا، فکیف نفسر قوله تعالی:

اشارهٔ

فَأُولئِکَ مَعَ الَّذِینَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَیْهِمْ مِنَ النَّبِیِّینَ وَ الصِّدِّیقِینَ، وَ الشُّهَداءِ وَ الصَّالِحِینَ «۱۳۹»؟.

حیث عد سـبحانه الشـهداء أیضا فی جملهٔ من أنعم علیه، مع أنهم یواجهون الحتوف، بشـفار السیوف، مع ما یصاحب ذلک من آلام و مشقات و أهوال، و محن.

هذا بالإضافهٔ إلی الأنبیاء الذین یواجهون المصائب و البلاید، و العظائم و الرزایا.

و خلاصـهٔ الأـمر: إن هـذا- وفق تصورهم- لاـ یتنـاسب مع نسـبهٔ النعمـهٔ لهم، بـل ذلـک نقمـهٔ، لأنه لیس إحسانا و تکریما إلهیا. فکان المناسب أن یقول: صراط الذین أتعبتهم و أشقیتهم بالمصائب فی سبیل هذا الدین.

و نقول فی الجواب:

صحیـح أن النعمهٔ هی الشـیء الحاصل للإنسان علی سبیل الإفضال و التکریم منه تعالی. و لکن المهم هو أن ندرک نحن هذه النعمهٔ، و نعرف کیف نتلمسها، و ما هی المفردات التی تتجسد

(۱۳۹) سورهٔ النساء، الآیهٔ ۶۹.

تفسیر سورهٔ الفاتحهٔ، ص: ۱۷۸

فیها. فهل تتجسد بالمال، أو بالسلطهٔ، أو بالجاه، أو بالمنصب، أو بالقوهٔ الجسدیهٔ، أو بالجمال، أو بالعرق، أو ..

فقد یشـعرک المال بالطمأنینهٔ، و السـعادهٔ، و الراحهٔ النفسـیهٔ، و لکنها طمأنینهٔ، و راحهٔ و سعادهٔ تبقی محدودهٔ بحدود، و مقیدهٔ بقیود لا تتجاوز قیمهٔ المال نفسه. فإذا مرضت فقد تسـتفید من مالک لدخول أرقی المستشـفیات، و اسـتخدام أحدث الأجهزهٔ، و الاسـتفادهٔ من خبرات أمهر الأطباء، و و .. و لکن هل هذا هو کل شیء. و هل حصلت علی الطمأنینهٔ و علی السعادهٔ بأعلی مراتبها؟

و هل زال هاجس الخوف علی حیاتک بصورهٔ نهائیهٔ؟

إن المال یماشـیک و یصل معک إلی حـد معین، ثم یقف عنـده، و کـذلک الجاه، و السـلطهٔ و و .. و بعـد ذلک- و هذه هی المرحلهٔ الأخطر و الأهم- لا بد أن تبحث من جدید عن السعادهٔ و الطمأنینهٔ الحقیقیهٔ فی غیر ذلک کله، لتجدها متمثلهٔ فی رضی اللّه سبحانه، و فی الإیمان و السکون بذکره کما قال تعالی: یا أَیَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّهُ ارْجِعِی إِلی رَبِّکِ راضِیَهً مَرْضِیَّهً «۱۴۰» و قال سبحانه: أَلا بِذِکْرِ

اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ «۱۴۱».

(۱۴۰) سورة الفجر، الآيتان ۲۸ و ۲۹.

(۱۴۱) سورة الرعد، الآية ۲۸.

تفسير سورة الفاتحة، ص: ۱۷۹

و لأجل ذلك يكون الشهداء سعداء، و الأنبياء و الصالحون و الأولياء سعداء، و فى نعمة حقيقية. هم فى نعمة و فى سعادة حتى و هم يتألمون و يواجهون المحن، و البلايا، و يستشهدون. و تأكل السيوف أجسادهم.

و هذا ما يفسر لنا: قول مسلم بن عوسجة، أو سعيد بن عبد اللّه الحنفى للإمام الحسين عليه السّلام فى كربلاء: لو علمت أنى أقتل فيك ثم أحيا، ثم أحرق حيا، ثم أذرى، يفعل بى ذلك سبعين مرة، ما فارقتك، حتى ألقى حمامى دونك «۱۴۲».

و قال على عليه السّلام: و اللّه، لابن أبى طالب آنس بالموت من الطفل بثدى أمه «۱۴۳».

و حين ضرب عليه السّلام بسيف ابن ملجم لعنه اللّه قال:

فزت و رب الكعبة «۱۴۴».

(۱۴۲) نفس المهموم ص ۲۰۶ ط سنة ۱۴۱۲ ه دار المحجة البيضاء و اللهوف ص ۳۹. و مقتل الحسين للمقرم ص ۲۵۶ عن الإرشاد للمفيد و عن تاريخ الطبرى ج ۶ ص ۲۳۹.

(۱۴۳) نهج البلاغة- بشرح عبده- ج ۱ ص ۴۱ ط دار المعرفة- بيروت.

(۱۴۴) ترجمة الإمام على من تاريخ دمشق (بتحقيق المحمودى) ج ۳ ص ۳۰۳. و مقتل أمير المؤمنين عليه السّلام لابن أبى الدنيا مطبوع فى مجلة تراثنا سنة ۳ عدد ۳ صفحة ۹۶. و ينابيع المودة ص ۶۵.

تفسير سورة الفاتحة، ص: ۱۸۰

و حين قال ابن زياد لزينب رحمها اللّه: كيف رأيت فعل اللّه بأهل بيتك؟

قالت: ما رأيت إلا جميلا «۱۴۵».

و سأل الحسين عليه السّلام القاسم ابن الحسن عليه السّلام:

يا بنى، كيف الموت عندك؟

قال: يا عم، أحلى من العسل. «۱۴۶»

إلى نماذج كثيرة أخرى للرضى و التسليم و الإيمان و الاطمئنان، و الإحساس بالسعادة و بالفوز بلقاء اللّه سبحانه.

و هذه هى النعمة الحقيقية التى يختار اللّه الشهيد على أساسها، ثم يمضى القرار الإلهى بها من خلال التكليف الإلهى، ثم المبادرة العملية من هذا المكلف لإنجاز ذلك التكليف، و يتوج ذلك بالاصطفاء، الذى هو التعبير عن الرضى الإلهى الغامر.

أما المال و الجمال و القوة و سوى ذلك فلن يستطيع أن يمنحك هذه السعادة، التى قد يجدها الفقير المعدم، و يفقدها الغنى بماله، الفقير بما سوى ذلك- بل إن أفقر الناس هم الأغنياء.

(۱۴۵) نفس المهموم ص ۳۷۱. و اللهوف ص ۶۷.

(۱۴۶) نفس المهموم ص ۲۰۸. عن اللهوف ص ۸۲ و ۸۳.

تفسير سورة الفاتحة، ص: ۱۸۱

و لأجل ذلک صح التعبیر عن الشهداء و الأولیاء و و ..
ب "أنعمت علیهم."

و إن شئت لخصت ما تقدم علی الشکل التالی:

إن النعمـة هی الحصول علی المطلوب، و تحقیق الغایـة المتوخاة، و النقمـة هی الخیبـة و الخسـران فی هذا المجال .. أما الألم و التعب الموصولان إلی الغایة فلیسا نقمة أبدا. فما تعرض له الأنبیاء و الأوصیاء و المؤمنون، لا یعتبر نقمة، لأن ذلک لم یجعلهم یخسرون نعمة القرب مـن اللّه، و الحصـول علی مقامـات الزلفی منه، بـل قـد زاد ذلـک فی علـو درجـاتهم، و فی صـقل إیمـانهم، و تصـفیة و تغـذیة نفوسـهم. الأمر الـذی زاد فی اسـتحقاقهم للألطاف الإلهیة، و للتوفیقات و البرکات الربانیة. فآلامهم تلک کانت سـببا فی زیادة توغلهم فی النعم.

من هم الذین أنعم اللّه علیهم:

لقد حدد اللّه سبحانه لنا الذین أنعم علیهم، فقال:
فَأُولئِکَ مَعَ الَّذِینَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَیْهِمْ مِنَ النَّبِیِّینَ وَ الصِّدِّیقِینَ، وَ الشُّهَداءِ وَ الصَّالِحِینَ وَ حَسُنَ أُولئِکَ رَفِیقاً «۱۴۷».

---

(۱۴۷) سورة النساء، الآیة ۶۹.

تفسیر سورة الفاتحة، ص: ۱۸۲

شمول الآیة للنبی (ص) و الأئمة (ع):

و قد یدّعی البعض: أن الآیة تشـمل الأنبیاء السابقین علی نبینا (ص)، لأنها نزلت فی أول البعثة، و لا تشمل نبینا الأکرم صلّی اللّه علیه و آله و سلّم، و الأئمة الطاهرین من أهل بیته علیهم السّلام، لأنهم حین نزول الآیة لم یکونوا موجودین، أو ما کانوا یمثلون أسوة و قدوة للناس لیأمر اللّه سبحانه بالتمسک بهم، و الاتباع لهم.

و نقول:

إن الجمیع مقصود بالآیـة حتی نبینا الأکرم و أئمتنا علیهم الصـلاة و السّـلام. لأن الآیة هنا مسوقة علی نحو القضـیة الحقیقیة، لا القضـیة الخارجیة أو الذهنیة.

و لتوضیح ذلک: نقول: إن کل قضیة لا بد لها من موضوع یکون الحکم علیه، و هو أقسام؛ فإنک:

إذا قلت: کـل جبل یاقوت ممکن الوجود. فجبل الیاقوت لا وجود له فی الواقع الخارجی، بل هو موجود فی ذهنک فقط (فهـذه قضـیة ذهنیة موجبة).

إذا قلت: کـل من فی الغرفـة عمره أقـل من عشـرین سـنة، أو کـل من فی المعسـکر قـد درب علی حمل السـلاح، أو کل من فی هـذا المدرسة یحمل الشهادة الابتدائیة. فقد لوحظ موضوع الحکم

تفسیر سورة الفاتحة، ص: ۱۸۳

هنا موجودا فی الواقع الخارجی، و متحققا فی أفراده فی أحد الأزمنة الثلاثة (فهذه قضیة خارجیة موجبة).

إذا قلت: کـل إنسان قابل للتعلیم العالی. أو قلت: من شـهد أن لا إله إلا اللّه، و أن محمـد رسول اللّه فهو مسـلم. أو قلت: کل ماء کریّ فهو طاهر و مطهّر. أو کل من أنعم اللّه علیه فهو مهتد إلی الصـراط المستقیم. أو من بلغ و هو عاقل فقد وجبت علیه الصلاة. و کذا: للّه

على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا.
فموضوع الحكم فى هـذه الأمثلـة كلها قـد لوحظ وجوده فى نفس الأمر و الواقع: أى أن الحكم إنما كان على الطبيعة بما لها من أفراد محققـة الوجود، و مفروضـة و مقدرة الوجود معا. فكلما فرض وجوده- و إن لم يوجد بعد- فهو داخل فى الموضوع و يشـمله الحكم. فإذا وجد فإن الحكم يثبت له بصورة تلقائية، و لا يحتاج إلى إنشاء حكم جديد.
و هذا ما نسميه بالقضية الحقيقية الموجبة.
و ما نحن فيه من هذا القبيل. فمن أنعم اللّه عليه من الأولين و الآخرين قبل نزول الآية و بعد نزولها فهو مهتد إلى الصراط.
كما أن من شهد الشهادتين فهو مسلم حتى و لو ولد بعد آلاف السنين، من هذا التاريخ، و هكذا سائر الأمثلة
تفسير سورة الفاتحة، ص: ١٨۴

نحن و السابقون:

و قـد يتخيـل البعض: أن الـذين أنعم اللّه عليهم إذا كـانوا هم الأئمـة و النبى و الشـهداء و الصالحون. من هـذه الأمـة بالإضافـة إلى من سبقهم. فإن معنى ذلك: هو أن المصاديق الفضـلى و المثلى لذلك يكون عمرها من عمر رسالة نبينا (ص) نحن المسـلمين، و لم يكن بمقدور من سبقنا من الأمم أن يصل أو أن يتصل به، و لا أن يطلع على ما استجد من تعاليم توجب المزيد من الرقىّ و السمو و القرب. أضف إلى ذلـك: أن معنى ذلـك أن الصـراط المسـتقيم أصبح من الأـمور النسبيـة، الـتى تتفـاوت و تختلف باختلاـف الأشـخاص و الأزمـان. فالمرتبـة التى يمكن أن يصل إليها الناس بعـد بعثـة نبينا (ص) و إمامـة الأئمـة الأطهار عليهم السّـلام تصبح أكمل و أتم من المراتب التى توفرت للأمم السابقة على بعثته (ص).
فإن نبينا أفضل من أنبيائهم، و تعاليمه أكمل و أتم من تعاليمهم، و تجربتنا أغنى من تجربتهم. و بهـذا فسر العلماء تعـدد الشـرائع بعدد الأنبياء أولياء العزم، حيث كان السابق منهم عليهم السّـلام يمهـد للاحق، على مسـتوى تنميـة القابليات و الاسـتعدادات لتأهل الإنسان و تمكينه من مواكبة و تقبل و تحمل المستوى الجديد و الشريعة الجديدة، التى ستنسخ سابقتها.
تفسير سورة الفاتحة، ص: ١٨۵

و نقول: إننا نجمل توضيحنا فى إطار النقاط التالية:

إن الصـراط الموصل إلى اللّه سـبحانه واحد، لا يمكن التعدد فيه و لا الاختلاف، فمن يسـير على تعاليم إبراهيم عليه السّـلام يصل إلى اللّه سبحانه، و كذلك من يسير على تعاليم موسى و عيسى عليهما السّلام.
و الباب مفتوح أمام الجميع و الشريعة وسيلة للوصول.

غاية الأمر:

أن هناك من يصل نقطة و هناك من يصل إلى نقطة أبعد منها. ثم أبعد، و هكذا ..
و المعيـار هو ما يحصل عليـة من درجـة خلوص و إخلاص، و صـفاء و نقاء، و معرفـة. و لا ينحصـر ذلك فى سابق، و لاحق، فإبراهيم الخليل عليه السّلام قد سبق من سبقه و من لحقه من الأنبياء حتى موسى و عيسى، باستثناء نبينا محمد (ص) ..
فكمـا اسـتطاع إبراهيم الوصول إلى تلـك المرتبـة العليـا، فيمكن لغيره أن يصـل أيضـا إليهـا، و قـد وصل نبينا (ص) من خلال شـريعة إبراهيم إلى درجات ربما لم يبلغها إبراهيم نفسه.
تفسير سورة الفاتحة، ص: ١٨۶

إن نبينا محمدا (ص) كان فى الأصل على شريعهٔ إبراهيم عليه السّلام قال تعالى: ثُمَّ أَوْحَيْنا إِلَيْكَ: أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْراهِيمَ حَنِيفاً، وَ ما كانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ «۱۴۸».

و قد كان موسى و عيسى على شريعهٔ إبراهيم أيضا، و قد أرسلهما اللّه سبحانه إلى بنى إسرائيل. و قد كان هناك شريعتان فقط: هما شريعهٔ إبراهيم عليه السّلام، و شريعهٔ نبينا محمد (ص).

بل إن شريعتهما أيضا واحدهٔ و قد قال تعالى: مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْراهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ «۱۴۹» و لذلك نصلى على نبينا و آله و على إبراهيم و آل إبراهيم فى سياق واحد، و لعل ذلك للإلماح إلى هذا الأمر.

و كون موسى و عيسى و غيرهما من أولياء العزم لا يلزم منه أن يكون لهما شرائع مستقلهٔ. لأن المقصود بكون النبى من أولى العزم، هو أنه يملك طاقهٔ و قدرهٔ يستطيع معها مواجههٔ التحديات الكبرى، حتى ليواجه عليه السّلام فرعون الذى كان يدعى الربوبيهٔ، و يواجه بنى إسرائيل و هم قتلهٔ الأنبياء، و أصعب الناس انقيادا لنبى.

---

(۱۴۸) سورهٔ النحل، الآيهٔ ۱۲۳.

(۱۴۹) سورهٔ الحج، الآيهٔ ۷۸.

تفسير سورهٔ الفاتحهٔ، ص: ۱۸۷

و نسخ بعض الأحكام فى شريعهٔ سابقهٔ، لا يعنى نسخ أساس الشريعهٔ، بل هو على حد النسخ الذى يكون فى أحكام الشريعهٔ الواحدهٔ. كما تنسخ آيهٔ فى القرآن آيهٔ قرآنيهٔ أخرى.

فهذا كله لا يعنى: أننا أمام شرايع مختلفهٔ، كما أنه لا يعنى رفعهٔ مقام النبى اللاحق فى أولى العزم أو غيرهم، على مقام النبى السابق. و قد ذكرنا إبراهيم كمثال ناقض لذلك التصور الخاطئ.

إننا لا نمنع من أن يستفيد اللاحقون من تجربهٔ السابقين.

و لا- أن يسهم السابقون فى تنميهٔ قابليات و استعدادات من يأتى بعدهم. و لكن هذا لا- يعنى: أن يكون طريق الوصول إلى أعلى المراتب قد كان موصدا أمام السابقين، فإن طريق الوصول للّه مفتوح أمام الجميع، و إذا كان ثمهٔ من تفاوت أو اختلاف فى الوصول، فيعود إلى الإنسان نفسه.

ليس للّه على الكافر نعمهٔ؟:

و من الأمور المثيرهٔ للعجب أن نجد بعض المفسرين يدعى:

أنه ليس للّه سبحانه على الكافر نعمهٔ، و استدل على ذلك بقوله تعالى: (صِراطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ). حيث خصت الآيهٔ النعمهٔ بالمؤمنين، إذ لو شملت الكافرين لكان معنى ذلك هو أننا نطلب هنا الهدايهٔ إلى صراط الكافرين أيضا، لأنهم ممن أنعم اللّه عليهم حسب المدعى.

تفسير سورهٔ الفاتحهٔ، ص: ۱۸۸

و هذا الكلام و إن كان باطلا، لا يستحق الالتفات إليه،

لكننا مع ذلك نقول:

إن هذا القائل ليس فقط لم يقرأ القرآن، فإنه أيضا لم يقرأ بقيهٔ نفس هذه الآيهٔ: و هو قوله تعالى: غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَ لَا الضَّالِّينَ و لم يقرأ أيضا قوله تعالى: وَ مَنْ يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ ما جاءَتْهُ، فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقابِ «۱۵۰».

و قوله: يا بَنِى إِسْرائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِى أَنْعَمْتُ عَلَيْكَمْ، وَ أَوْفُوا بِعَهْدِى أُوفِ بِعَهْدِكُمْ، وَ إِيَّاىَ فَارْهَبُونِ «۱۵۱». يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَها، وَ أَكْثَرُهُمُ الْكافِرُونَ «۱۵۲».

و قال تعالى: أَ فَبِالْباطِلِ يُؤْمِنُونَ وَ بِنِعْمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ «۱۵۳».

و قال سبحانه: أَ فَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ «۱۵۴».

---

(۱۵۰) سورة البقرة، الآية ۲۱۱.

(۱۵۱) سورة البقرة، الآية ۴۰.

(۱۵۲) سورة النحل، الآية ۸۳.

(۱۵۳) سورة النحل، الآية ۷۲.

(۱۵۴) سورة النحل، الآية ۷۱.

تفسير سورة الفاتحة، ص: ۱۸۹

و قال: أَ لَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْراً الخ «۱۵۵».

إذن، هناك قسمان من الذين أنعم اللّه عليهم: أحدهما لم يبدل نعمة اللّه كفرا، و لم يغضب اللّه عليه، و لم يضل الخ .. و هم الذين تطلب الهداية إلى صراطهم.

و الآخر: بدل و غيّر، و غضب اللّه عليه و الخ .. فنحن نحترس منهم و نستثنيهم.

إعراب غير المغضوب:

اشارة

إذا قلنا: إن كلمة غير المغضوب بدل من كلمة: الذين أنعمت عليهم، فإن المقصود هو إضافة الصراط إلى البدل نفسه أى: صراط غير المغضوب الخ .. و يكون غير المغضوب عليهم هم نفس الذين أنعم اللّه عليهم.

و أما إذا قلنا: إن كلمة: غير المغضوب صفة للذين. فيرد سؤال: كيف يصح وصف المعرفة بكلمة غير، التى هى متوغلة فى الإبهام. و لا تتعرف بالإضافة، و هم يقولون: لا يصح وصف المعرفة بالنكرة.

---

(۱۵۵) سورة إبراهيم، الآية ۲۸.

تفسير سورة الفاتحة، ص: ۱۹۰

و نقول فى الجواب:

أولا- إن كلمة غير قد يوصف بها المعرفة أيضا، و ذلك إذا وقعت بين متقابلين، مثل: الحركة غير السكون، حيث إن التقابل بين السابق و اللاحق يقرّبها من المعرفة، لإتضاح معناها بواسطة الطرف الآخر الذى وقعت وصفا له .. و ما نحن فيه من هذا القبيل، لوقوعها بين من أنعم عليهم، و بين المغضوب عليهم. فصح وصف المعرفة بها هنا أيضا لأجل ذلك.

و ثانيا: كلمة الذين ليست من قبيل المعرف بالعلمية، لأنها إنما تعرفت بواسطة الصلة، و هذا التعريف لا يصل إلى درجة سائر المعارف من حيث درجة التحديد، بل يبقى لكلمة (الَّذِينَ) عموم و سعة. فكلمة الذين شبيهة ب (ال) الجنسية أو الحقيقية التى تدخل على كلمة

(رجل). و (بعير) فتقول: الرجل.

و البعير. و الكريم. فإنها لا تصل إلى درجهٔ التحديد و التعريف بالعلميهٔ.

إذن، فيصح وصف كلمهٔ الذين التى عرّفت بالصلهٔ بكلمهٔ: غير المغضوب عليهم. و إن كانت متوغلهٔ فى الإبهام، لأنها قد تضيقت بالمضاف إليه كما تضيقت كلمهٔ الذين بصلتها.

تفسير سورهٔ الفاتحهٔ، ص: ۱۹۱

لماذا المغضوب:

أما السؤال: من هم الذين صدر منهم الغضب على أولئك الناس، فجوابه:

۱- أننا لا نجد ضرورهٔ لاعتبار فاعل الغضب على أولئك المجرمين هو خصوص الذات الإلهيهٔ المقدسهٔ، إذ أن كل من له ذرهٔ من الوجدان، و العقل و الضمير لا بد أن يغضب على المجرمين و المنحرفين. فليكن غضب كل هؤلاء أيضا بالإضافهٔ إلى غضبه تعالى مقصودا فى هذه الآيهٔ. و لأجل ذلک لم يعين سبحانه فاعل الغضب، بل جاء باسم المفعول: الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ

و اللّه تعالى يريد منا أن نغضب من الإنحراف و أن نشعر بأننا معنيين بسلامهٔ الحياهٔ الإنسانيهٔ، و أن نترجم هذا الشعور غضبا و نفورا ممن يعبث و يهدد السلامهٔ.

أ ليس اللّه و ملائكته، و المؤمنون، و كل الشرفاء، و العقلاء، و أصحاب الضمير الحى معنيين بمكافحهٔ من سب اللّه و رسوله، و سب عليا، و فاطمهٔ، و الحسنين، و الأئمهٔ على منابر، و ابتزهم حقهم؟!.

ألسنا جميعا معنيين بمكافحهٔ من احتل أرضنا و عاث فيها فسادا، و أهان و عبث بمقدساتنا، و استحل دماءنا، و أعراضنا، و أموالنا، و أوطاننا؟!.

تفسير سورهٔ الفاتحهٔ، ص: ۱۹۲

إذن، فاللّه قد أبهم فاعل الغضب و لم يصرح به، ليفيد المشمول و العموم لكل من يغضب للحق. و ينفر من فعل الباطل.

۲- ثم إنه تعالى قد عبر عن هذا الغضب بصيغهٔ اسم المفعول، و لم يستعمل صيغهٔ الفعل، حيث لم يقل: الذين غضب عليهم. لأن صيغهٔ الفعل تفيد التصرم و الزوال، و هو تعالى إنما يريد أن يقرر فعليهٔ الغضب، و الدوام و الثبات و الاستمرار فإن هذا أشد من الزجر، و أدعى للإنزجار.

۳- و إنما عبر بالمغضوب، مشيرا بذلک إلى الغضب من أجل أن يعرفنا الداعى و السبب لسلب النعمهٔ، و هو إجرامهم المقتضى للغضب، ثم للعقوبهٔ و الجزاء.

من هم المغضوب عليهم و الضالون:

و قد ورد فى الروايات، و ذهب إليه عدد من المفسرين: أن المقصود ب (الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ): اليهود. و المقصود ب (الضَّالِّينَ): النصارى.

و الظاهر: أن هذا من باب الانطباق، حيث إن اليهود و النصارى من مصاديق المغضوب عليهم، و من مصاديق الضالين.

و الآيهٔ عامهٔ صالحهٔ للانطباق عليهم و على غيرهم ممن يعمل عملهم. و فى الآيات القرآنيهٔ ما يدل على انطباق (الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ) على غير اليهود، و انطباق الضالين على غير النصارى.

تفسير سورهٔ الفاتحهٔ، ص: ۱۹۳

فأما بالنسبهٔ لعنوان المغضوب عليهم، فنقرأ الآيات التاليهٔ:

وَ الْخامِسَةَ أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْها إِنْ كانَ مِنَ الصَّادِقِينَ «۱۵۶».

أَ لَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْماً غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ «۱۵۷».

و خاطب سبحانه أهل الكتاب بقوله: وَ باؤُ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ، وَ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ «۱۵۸».

و بالنسبة للضلال، فقد قال تعالى: وَ مَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَ مَلائِكَتِهِ، وَ كُتُبِهِ وَ رُسُلِهِ، وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ، فَقَدْ ضَلَّ ضَلالًا بَعِيداً «۱۵۹».

وَ مَنْ ضَلَّ فَقُلْ: إِنَّما أَنَا مِنَ الْمُنْذِرِينَ «۱۶۰».

وَ مَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالًا مُبِيناً «۱۶۱».

---

(۱۵۶) سورة النور الآية ۹.

(۱۵۷) سورة المجادلة الآية ۱۴.

(۱۵۸) سورة آل عمران الآية ۱۱۲.

(۱۵۹) سورة النساء الآية ۱۳۶.

(۱۶۰) سورة النمل الآية ۹۲.

(۱۶۱) سورة الأحزاب الآية ۳۶.

تفسير سورة الفاتحة، ص: ۱۹۴

و هناك آيات كثيرة أخرى.

فترى: أن الآيات الكريمة إما ناظرة إلى المؤمنين، كالآية الأخيرة، و إما ناظرة إلى العصاة و المنحرفين بغض النظر عن الديانة التى ينتمون إليها ...

التوضيح و التطبيق:

و لتوضيح ما سبق نقول:

إنه تعالى قد ذكر صفتين، قد تتوافقان، و قد تختلفان أى أن النسبة بينهما يكون هى العموم و الخصوص من وجه، كالطير و الأسود، حيث يتوافقان فى الغراب، الذى هو طير و أسود، و قد لا يكون الأسود طيرا، بل يكون ثوبا مثلا. و الطير قد يكون حماما أبيضا. فكل من الطير و الأسود أعم من الآخر، و أخص منه من وجه.

و المغضوب عليهم و الضالون أيضا كذلك، فقد يكون الإنسان ضالا فى عقيدته، و أفكاره. و مجرما فى سلوكه و أفعاله، و إجرامه يثير الغضب، فيبادر الغاضب إلى مجازاته. و قد يكون ضالا لكنه ليس بمجرم، فلا يثير غضبا و لا يستحق التأديب و الجزاء المناسب. و قد يكون مجرما، لكنه ليس بضال.

تفسير سورة الفاتحة، ص: ۱۹۵

فهناك إذن صفتان فى مقابل المنعم عليهم، قد توجدان فى واحد من الناس أو أكثر. و قد توجد إحداهما فى بعض الناس، و توجد الأخرى فى بعض آخر.

و لا بأس بأن نطبق إحدى الصفتين على اليهود و الذين اجرموا إجراما ظاهرا، فقتلوا الأنبياء، و أفسدوا فى الأرض.

فغضب اللّه عليهم لأجل ذلك.

و على النصارى الذين ضلوا و أضلوا الناس. فكان إجرامهم خفيا و ذكيا.

مع العلم بأن اليهود أيضا مصداق للشق الثانى، فإنهم أيضا ضالون و مضلون. و النصارى أيضا حين يقتلون الأبرياء و يشنون حروبهم

الصلیبیة علی الحق و الدین، و یناصرون الیهود الغاصبین هم أیضا مجرمون مغضوب علیهم لإجرامهم، و لا بد من مجازاتهم علی هذا الإجرام. فالآیة لا تخص الیهود بوصف المغضوب علیهم، و لا تخص النصاری بوصف الضالین. بل هی عامة تشمل حتی الملحد، بل و المسلم إذا أجرم، فاستحق العقاب، و کذا إذا ضل و أضل.

فمن أغضب فاطمة علیهاالسّلام یدخل فی المغضوب علیهم لقوله (ص): من أغضبها فقد أغضبنی، و ذلک ظاهر لا یحتاج إلی مزید بیان.

تفسیر سورة الفاتحة، ص: ۱۹۶

تناقض یسیء إلی المعنی:

و الغریب فی الأمر هنا: أننا نجد نفس أولئک الذین فسروا الآیة بالیهود و النصاری قد ناقضوا أنفسهم حین أضافوا إلی ذلک قولهم: إن المغضوب علیهم هم قوم عرفوا الحق ثم عاندوه. و هم الذین وصفهم اللّه تعالی بأنهم قوم غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ «۱۶۲».

أما الضالون فهم: قوم ما عرفوا الحق، و قصروا فی طلبه، فضلوا. و هم الذین وصفهم اللّه بأنهم قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ، وَ أَضَلُّوا کَثِیراً، وَ ضَلُّوا عَنْ سَواءِ السَّبِیلِ «۱۶۳».

و هذا کلام عجیب، قد لا یخطر حتی علی بال النصاری أنفسهم فی صیاغة البراءة لأنفسهم، إذ أنه یعنی: أن یکون النصرانی معذورا فی ضلاله، و یکاد یکون هذا تبریرا لانحرافهم، حیث إن ضلالهم کان نتیجة تقصیر، فلا یرقی إلی درجة الجریمة الفاحشة.

و معنی ذلک: أنه تعالی قد انتقل من الحدیث عن أمر عظیم الخطورة، قد وصف به الیهود، و هو کونهم من المغضوب علیهم إلی أمر سهل و بسیط، و هو ضلال قوم بسبب تقصیر منهم. لا بسبب التعمد لغیر الحق!!.

(۱۶۲) سورة المجادلة. الآیة ۱۴.

(۱۶۳) سورة المائدة الآیة ۷۷.

تفسیر سورة الفاتحة، ص: ۱۹۷

و نقول:

إن الحقیقة قد تکون عکس ذلک، أی قد تکون جریمة النصاری أعظم و أخطر من جریمة الیهود، إذا عرفنا: أن النصاری أیضا قد رأوا الحق و أعرضوا عنه، و عاندوه. ثم قاموا بدور الإضلال للناس بصورة ذکیة و خفیة.

أما الیهود، فإنهم قد ضلوا عن الحق، و هم یعرفون. ثم ارتکبوا الجرائم و الموبقات. فهم ضالون و مجرمون. فلا بد من الحذر مرة من ضلالهم الظاهر، و من إجرامهم المفضوح، أما النصاری فلا بد من الحذر منهم ألف مرة، لأنهم ینساقون وراء أهوائهم، و یعملون علی إضلال الناس بصورة ذکیة و ماکرة.

و قد نجحوا فی ذلک، قال تعالی: لا تَتَّبِعُوا أَهْواءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ، وَ أَضَلُّوا کَثِیراً، وَ ضَلُّوا عَنْ سَواءِ السَّبِیلِ و قال: الَّذِینَ یَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِیَّ الْأُمِّیَّ الَّذِی یَجِدُونَهُ مَکْتُوباً عِنْدَهُمْ فِی التَّوْراةِ وَ الْإِنْجِیلِ «۱۶۴».

فهم إذن یعرفون الحق، و لکنهم یتبعون أهواءهم، و یضلون الناس أیضا. و لیست القضیة مجرد ضلال ناشئ عن تقصیر، قد لا یکون له هذا المستوی من الخطورة و القبح.

(۱۶۴) سورة الأعراف. الآیة ۱۵۷.

تفسیر سورة الفاتحة، ص: ۱۹۸

و لا الضالين:

و إنما قال تعالى: وَ لَا الضَّالِّينَ بإضافة كلمة (لَا) و لم يقل:

و الضالين، أو: و غير الضالين، لسببين:

الأول: إن كلمة (لَا) صريحة فى نفى ما بعدها، أما كلمة غير فإنما تنفيه بصورة نفى اللازم.

الثانى: إنه تعالى لا ـ يريد أن يكون المجموع المركب من المغضوب عليهم و الضالين هو مدخول غير، ليكونوا فريقا واحدا مقابل الذين أنعم اللّه عليهم.

بل يريد أن يستثنى الفريقين أى: (الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ) و (الضَّالِّينَ). لا بشرط. حيث إنه يريد مقابلة الذين أنعم اللّه عليهم بالمغضوب عليهم تارة، و بالضالين أخرى، و بالمجموع المركب منهما ثالثة.

و هذا إنما يتسنى فى ظل كلمة (لَا) دون كلمة غير التى قد توهم المعنى الآخر.

إمامة أبى بكر فى سورة الفاتحة:

و يحاول البعض أن يجعل من قوله تعالى: صِراطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ، دليلا على إمامة أبى بكر، لأن المقصود بالذين

تفسير سورة الفاتحة، ص: ۱۹۹

أنعم اللّه عليهم هم المذكورون فى قوله تعالى: فَأُولئِکَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَ الصِّدِّيقِينَ، وَ الشُّهَداءِ، وَ الصَّالِحِينَ «۱۶۵».

باعتبار أن أبا بكر هو رأس الصديقين: و قد أمرنا اللّه أن نطلب الهداية إلى صراط أبى بكر الصديق.

و نقول:

لنفترض: أن الآية تدل على إمامة الصديقين، فهل تدل على إمامة الصالحين، و الشهداء أيضا ..

۲- قد ذكرنا فى كتابنا: الصحيح من سيرة النبى الأعظم (ص) «۱۶۶» عدم صحة ما يستندون إليه فى تسمية أبى بكر بالصديق، لتناقض الروايات فى سبب هذه التسمية، و قلنا هناک: إن الظاهر هو أن هذا اللقب قد أطلق على أبى بكر بعد وفاته. و لهذا لم يستدل به هو و لا أحد من مؤيديه فى يوم السقيفة على استحقاقه الخلافة مع حاجتهم الملحة لاستدلال كهذا، و لا عطر بعد عروس.

---

(۱۶۵) سورة النساء. الآية ۶۹.

(۱۶۶) الصحيح من سيرة النبى ج ۴ ص ۴۴- ۵۲.

تفسير سورة الفاتحة، ص: ۲۰۰

۳- هناک روايات كثيرة صحيحة السند، مروية فى عشرات المصادر الإسلامية المتنوعة تنص على أن الصديق الأكبر هو على عليه السّلام، سماه بذلک رسول اللّه «۱۶۷» (ص).

و روى عن النبى (ص) أيضا: أنه قال: الصديقون ثلاثة:

حزقيل مؤمن آل فرعون، و حبيب النجار، صاحب آل ياسين.

و على بن أبى طالب. الثالث أفضلهم. «۱۶۸»

و قال على عليه السّلام على منبر البصرة: أنا الصديق الأكبر. آمنت قبل أن يؤمن أبو بكر، و أسلمت قبل أن يسلم أبو بكر. «۱۶۹».

و عنه عليه السّلام؛ بسند صحيح على شرط الشيخين: أنا عبد اللّه، و أخو رسوله، و أنا الصديق الأكبر الخ ... «۱۷۰»

(۱۶۷) راجع: الغدیر. ج ۲ ص ۳۱۳ و ۳۱۴ عن شمس الأخبار للقرشی.

(۱۶۸) راجع مصادر هذا الحدیث فی الصحیح من سیرة النبی الأعظم ج ۴ ص ۴۶/ ۴۷.

(۱۶۹) راجع مصادر هذا الحدیث فی الصحیح من سیرة النبی الأعظم ج ۴ ص ۴۷/ ۴۸.

(۱۷۰) راجع: الصحیح من سیرة النبی الأعظم. ج ۴ ص ۴۵/ ۴۶.

تفسیر سورة الفاتحة، ص: ۲۰۱

و عن النبی (ص): أنه قال لعلی: أنت الصدیق الأکبر، و أنت الفاروق الخ ... «۱۷۱»

و الروایات فی ذلک کثیرة، فلترجع فی مظانها ... «۱۷۲»

(۱۷۱) الصحیح من سیرة النبی (ص). ج ۴ ص ۴۸.

(۱۷۲) الصحیح من سیرة النبی (ص). ج ۴ ص ۴۵- ۴۹.

تفسیر سورة الفاتحة، ص: ۲۰۳

کلمة أخیرة:

و أخیرا ...

فإننا إلی هنا نکون قد أنهینا الحدیث عن بعض اللمحات و الإشارات التی وفق اللّه لاستفادتها من سورة الفاتحة بصورة أو بأخری. و قد کانت- بحق- فرصة للقیام بسیاحة مبارکة و رائعة فی رحاب هذا القرآن العظیم، عادت علینا بفوائد و عوائد جلیلة و غالیة، أین منها فرائد اللآلی، و الدرر الغوالی.

نقول هذا، علی الرغم من أننا لم نوغل فی اللامتناهی من آفاق هذا القرآن، و لا حاولنا أستکناه ما یطویه فی أغوار أعماقه؛ لإدراکنا أننا- و نحن نقف مبهورین علی شواطئ بحاره الغامرة- أعجز من أن ننال سوی القطرة أو القطرات، کما أننا حین نستشرف آفاقه، فلن نستطیع أن نقتحم رحابها إلا فی حدود تهاویم و سبحات، و سوانح و خطرات.

تفسیر سورة الفاتحة، ص: ۲۰۴

و حین وضح ضعفنا، و ظهر عجزنا، و أننا لا نملک أن نجیء إلا ببضاعة مزجاة، أدرکنا بعمق: أن علینا أن نعود للوقوف علی أبواب الراسخین فی العلم، و هم أهل بیت العصمة، الذین أذهب اللّه عنهم الرجس و طهرهم تطهیرا. ننادیهم بصدق. و نناجیهم بوله و صفاء بأننا قد مسنا و جمیع محبیهم الضر فلیوفوا لنا الکیل، و لیتصدقوا علینا، فاللّه یحب المتصدقین.

فإننا- و اللّه- نحن العطاشی إلی النمیر الزلال من علمهم، و المحتاجون إلی الصادق من هدیهم، و الوالهون إلی صفی محبتهم و مودتهم.

نسأل اللّه سبحانه أن یؤهلنا لنیل هذا الشرف، و أن یکرمنا بدرجات الزلفی و القرب، إنه ولی قدیر، و بالإجابة حری و جدیر.

تفسیر سورة الفاتحة، ص: ۲۰۵

المصادر و المراجع

- ألف- القرآن الکریم.

الاحتجاج، للشیخ الطبرسی، ط سنة ۱۴۱۳ ه. ق.- قم- إیران.

إحقاق الحق (قسم الملحقات) للسيد شهاب الدين المرعشى النجفى- ط قم- إيران.

الاستبصار، للشيخ محمد بن الحسن الطوسى- ط سنة ۱۳۷۶ ه. ق- النجف الأشرف- العراق.

إعلام الدين فى صفات المؤمنين- للحسن الديلمى- ط سنة ۱۴۰۸ ه. ق مؤسسة آل البيت. قم- إيران.

الأمالى للشيخ الصدوق رحمة اللّه- ط الحيدرية- النجف الأشرف. العراق.

تفسير سورة الفاتحة، ص: ۲۰۶

الأمالى للشيخ محمد بن الحسن الطوسى ط سنة ۱۴۰۱ ه ق.

مؤسسة الوفاء- لبنان.

- ب- بحار الأنوار: للعلامة المجلسى- ط سنة ۱۴۰۳ ه ق.

مؤسسة الوفاء. بيروت- لبنان.

البرهان فى تفسير القرآن- للبحرانى- ط آفتاب- طهران- إيران. و المطبعة العلمية سنة ۱۳۹۳ ه ق.- إيران.

- ت- تاريخ دمشق (ترجمة الإمام على بن أبى طالب- بتحقيق المحمودى) ط- بيروت- لبنان.

التراتيب الإدارية- للكتانى- ط دار إحياء التراث العربى- بيروت- لبنان.

تفسير العسكرى- ط سنة ۱۴۰۹ ه ق. مطبعة مهر- قم- إيران.

تفسير العياشى- ط المكتبة العلمية الإسلامية- قم- إيران.

تفسير القمى- لعلى بن إبراهيم بن هاشم. ط سنة ۱۳۸۷.

ه ق. بيروت. لبنان.

التفسير الكبير- للرازى- منشورات دار الكتب العلمية- طهران- إيران.

تفسير سورة الفاتحة، ص: ۲۰۷

تهذيب الأحكام- للشيخ محمد بن الحسن الطوسى- ط سنة ۱۳۹۰- قم- إيران.

- ج- جامع الأخبار و الآثار- للأبطحى.

- د- دعائم الإسلام- للقاضى النعمان- ط سنة ۱۳۸۳ ه- ق.

دار المعارف بمصر.

- س- سنن ابن ماجة- ط سنة ۱۳۷۳ ه. ق.

- ص- الصحيح من سيرة النبى الأعظم- جعفر مرتضى العاملى- ط سنة ۱۴۱۵. ه. ق. دار الهادى- و دار السيرة- بيروت- لبنان.

الصحيفة السجادية- منسوبة للإمام زين العابدين عليه السّلام.

- ع- علل الشرائع- للشيخ الصدوق- ط سنة ۱۳۸۵. ه. ق.

النجف الأشرف- العراق.

- غ- الغدير- للعلامة الأمينى- ط سنة ۱۳۹۷ ه ق. دار الكتاب العربى بيروت- لبنان.

تفسير سورة الفاتحة، ص: ۲۰۸

غرائب القرآن- للنيسابورى (مطبوع بهامش جامع البيان) سنة ۱۳۱۲- ه. ق.

- ق- قرب الإسناد- لعبد اللّه بن جعفر الحميرى- إصدار مكتبة نينوى الحديثة- طهران- إيران.

- ك- الكافى- للكلينى- ط سنة ۱۳۷۷ ه. ق. الحيدرية- طهران- إيران.

كشف الغمة- للإربلى- المطبعة العلمية سنة ۱۳۸۱ ه. ق.- قم- إيران.

الکنی و الألقاب- للشیخ عباس القمی- ط الحیدریة سنة ۱۳۸۹- ه. ق. النجف الاشرف- العراق.

- ل- اللهوف فی قتلی الطفوف- للسید ابن طاووس- منشورات مکتبة الداوری- قم- إیران.

- م- مجمع البیان- للطبرسی- ط سنة ۱۳۷۹ ه. ق. دار إحیاء التراث العربی. بیروت- لبنان.

مستدرک سفینة البحار- للشیخ علی نمازی الشاهرودی- ط مؤسسة البعثة- طهران- إیران.

تفسیر سورة الفاتحة، ص: ۲۰۹

المستدرک علی الصحیحین- للحاکم النیسابوری ط سنة ۱۳۴۲ ه. ق. الهند.

مستدرک الوسائل- للشیخ حسین النوری- ط مؤسسة آل البیت سنة ۱۴۰۷ ه. ق. قم- إیران.

المسند لحمد بن حنبل- ط سنة ۱۳۱۳ ه. ق.- مصر. ثم نشر دار صادر- بیروت- لبنان.

معانی الأخبار- للشیخ الصدوق. نشر دار المعرفة- سنة ۱۳۹۹ ه- ق. بیروت- لبنان.

مقتل أمیر المؤمنین علی بن أبی طالب- لابن أبی الدنیا- مطبوع ضمن مجلة تراثنا، الصادر عن مؤسسة آل البیت- قم- إیران. سنة ۳ عدد ۳.

مقتل الحسین- للسید عبد الرزاق المقرم- ط سنة ۱۳۷۲ ه. ق. مطبعة الآداب- النجف الأشرف.- العراق.

مناقب آل أبی طالب- لابن شهر آشوب- ط دار الأضواء سنة ۱۴۱۲ ه. ق.

- ن- نفس المهموم- للشیخ عباس القمی- دار المحجة البیضاء- سنة ۱۴۱۲ ه. ق. بیروت- لبنان.

نهج البلاغة (جمع الشریف الرضی) بشرح عبده- ط الاستقامة.

تفسیر سورة الفاتحة، ص: ۲۱۰

نور الثقلین- لابن جمعة الحویزی- مطبعة الحکمة- قم- إیران.

- و- وسائل الشیعة- ط مؤسسة آل البیت سنة ۱۴۱۲ ه. ق.

قم- إیران.

- ی- ینابیع المودة- للقندوزی الحنفی- ط سنة ۱۳۰۱ ه. ق.

إسلامبول- ترکیا.

الکشاف- للزمخشری- نشر دار المعرفة- بیروت- لبنان

تفسیر سورة الفاتحة، ص: ۲۱۱

محتویات الکتاب

مقدمة الناشر ۷

تقدیم ۹

تمهید ۱۳

إلفات نظر لا بد منه ۱۹

علی (ع) و تفسیر سورة الفاتحة و البسملة ۲۰

مناوئوا علی علیه السّلام، و حساده ۲۴

تفسیر قوله تعالی: بسم اللّه الرحمن الرحیم ۲۷ بدایة و تمهید ۲۹

البدء باسم اللّه ۳۰

النقص فی البدایهٔ و فی النهایهٔ ۳۲

الباء للاستعانهٔ أم للملابسهٔ ۳۵

لماذا الترکیز علی الاسم ۳۶

الأسماء الحسنی وسیلهٔ الدعاء ۳۸

تفسیر سورهٔ الفاتحهٔ، ص: ۲۱۲

الأصنام عند العرب ۴۱

الرحمن الرحیم ۴۲

- تحدید معنی الرحمن الرحیم ۴۳

- سبب اختیار هاتین الصفتین ۴۸

- کلمهٔ الرحمن علم أم صفهٔ؟ ۵۰

تفسیر قوله تعالی: الحمد للّه رب العالمین ۵۲ الحمد للّه ۵۵

- اختصاص الحمد باللّه سبحانه ۵۶

- الحمد و الرحمهٔ بدایهٔ و نهایهٔ ۵۸

- له الحمد فی الأولی و الآخرهٔ ۶۰

- لماذا لم یقل: الحمد لرب العالمین ۶۴

- لماذا الحمد؟! ۶۵

- لغهٔ القرآن فی التربیهٔ العقائدیهٔ ۶۵

- التسبیح بحمد اللّه تعالی ۶۸

- لماذا تسبیحهٔ کبیرهٔ ۷۳

شمولیهٔ کلمهٔ الرب ۷۵

العالمین ۷۵

- ما المقصود بالعالمین ۷۶

- أولا: التربیهٔ للعالمین ۷۶

تفسیر سورهٔ الفاتحهٔ، ص: ۲۱۳

الأول: سجود المخلوقات و تسبیحها لیس تکوینیا ۷۸

الثانی: تکامل الشعور و الإدراک و مستواه ۸۰

- ثانیا العالمون خاص بالبشر ۸۱

- استدلال لا یصح ۸۲

- ربی أم رب العالمین ۸۳

- الکون المتوازن ۸۴

- الألوهیهٔ و الربوبیهٔ ۸۶

- نتائج ثلاثهٔ ۸۸

تفسیر قوله تعالی الرحمن الرحیم ۹۱ الرحمن الرحیم: مرهٔ أخری ۹۳

- النقص حقيقى و أساسى ۹۴

- ثبات و استمرار الرحمهٔ ۹۵

- دوافع التربيهٔ و الرعايهٔ ۹۵

تفسير قوله تعالى: مالك يوم الدين ۹۷ المعاد مشكلهٔ حقيقيهٔ للمشركين ۹۹

أى أنواع المالكيات للّه تعالى ۱۰۶

يوم الدين ۱۱۰

مالكيهٔ اللّه سبحانه للدنيا ۱۱۱

تفسير سورهٔ الفاتحهٔ، ص: ۲۱۴

الدين هو الجزاء ۱۱۲

مالك أو ملك ۱۱۴

الخلود فى العذاب و العدل ۱۱۵

تفسير قوله تعالى: إياك نعبد و إياك نستعين ۱۱۷ بدايهٔ ۱۱۹

إياك نعبد ۱۲۰

- تقديم كلمهٔ: إياك ۱۲۲

- نعبد و نستعين بصيغهٔ الجمع ۱۲۴

- مراتب العبادهٔ ۱۲۸

- ما المراد بالعبادهٔ ۱۲۹

- تنوع المستحبات و كثرتها ۱۳۱

- و إياك نستعين ۱۳۳

- الوعى يقتضى الاستعانهٔ ۱۳۳

- التوحيد فى العبادهٔ و الاستعانهٔ ۱۳۳

- جبر أم اختيار؟ ۱۳۴

- الاستعانهٔ: و العجب و الرياء ۱۳۴

- الاستعانهٔ بغير اللّه سبحانه ۱۳۵

- الاستعانهٔ باللّه و الجبر الإلهى ۱۳۹

تفسير سورهٔ الفاتحهٔ، ص: ۲۱۵

تفسير قوله تعالى: اهدنا الصراط المستقيم ۱۴۳ اهدنا الصراط المستقيم ۱۴۵

- ارتباط الآيهٔ بما قبلها ۱۴۵

- الطلب الجازم ۱۴۸

- الإسلام لا يغنى عن طلب الهدايهٔ ۱۴۸

أنواع الهدايهٔ و أقسامها ۱۵۴

الهدايهٔ و الجبر الإلهى ۱۵۸

اهدنا الصراط أو إلى الصراط ۱۵۹

- مناقشة وردها ۱۶۰
الصراط المستقيم ۱۶۱
- (آل) فى الصراط للجنس أم للعهد ۱۶۴
- وصف الصراط بالمستقيم، لماذا؟ ۱۶۵
تفسير قوله تعالى: صراط الذين أنعمت عليهم ۱۶۹ نسبة الصراط إلى غير اللّه- ۱۷۱
النعمة و النقمة ۱۷۶
من هم الذين أنعم اللّه عليهم ۱۸۱
شمول الآية للنبى (ص) و الأئمة (ع) ۱۸۲
نحن و السابقون ۱۸۴
تفسير سورة الفاتحة، ص: ۲۱۶
ليس للّه على الكافر نعمة ۱۸۷
إعراب: غير المغضوب ۱۸۹
لماذا المغضوب؟! ۱۸۹
من هم المغضوب عليهم، و الضالون ۱۹۲
- التوضيح و التطبيق ۱۹۴
- تناقض يسىء إلى المعنى ۱۹۶
و لا الضالين ۱۹۸
إمامة أبى بكر فى سورة الفاتحة ۱۹۸
كلمة أخيرة ۲۰۳ المصادر و المراجع ۲۰۵

تفسير سورة الفاتحة، ص: ۲۱۷

تفسير سورة الفاتحة، ص: ۲۱۹

تلفون. فاكس: ۲۷۴۵۱۹ (۱) (۰۰۹۶۱)
ص ب ۵۲/ ۲۵
الانترنت:WWW .alhadi .org
البريد الالكترونى:alhadi I alhadi .org

تفسير سورة الفاتحة، ص: ۲۲۱

إصدارات المركز الإسلامى للدراسات موقف على عليه السّلام فى الحديبية (العلامة المحقق السيد جعفر مرتضى العاملى)

لست بفوق أن أخطئ (العلامة المحقق السيد جعفر مرتضى العاملى)

منطلقات البحث العلمى (العلامة المحقق السيد جعفر مرتضى العاملى)

سنابل المجد (قصيدة) (العلامة المحقق السيد جعفر مرتضى العاملى)

تفسير سورة الفاتحة (العلامة المحقق السيد جعفر مرتضى العاملى)

تفسير سورة الماعون (العلامة المحقق السيد جعفر مرتضى العاملى)

تفسير سورة الكوثر (العلامة المحقق السيد جعفر مرتضى العاملى)

تفسير سورة الناس. (العلامة المحقق السيد جعفر مرتضى العاملى)

عبس و تولى فيمن نزلت؟ (الشيخ رضوان شرارة)

الشورى و البيعة. (الشيخ مصطفى قصير)

الأعياد الإسلامية (الشيخ مصطفى قصير)

قانا الجليل. (الشيخ حاتم اسماعيل)

صلب المسيح عليه السّلام فى الإنجيل (الشيخ حاتم اسماعيل)

الحسين و عاشوراء فى الكافى. (السيد حسين صولى)

المرأة المسلمة و متطلبات التنمية و البناء (خديجة عبد الهادى الحميد)

تعريف مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

جاهِدُوا بِأَمْوالِكُمْ وَ أَنْفُسِكُمْ فى سَبيلِ اللَّهِ ذلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (التوبة/۴۱).
قالَ الإمامُ علىّ ُبنُ موسَى الرِّضا – علَيهِ السَّلامُ: رَحِمَ اللّهُ عَبْداً أحْيَا أمْرَنَا... َيَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَ يُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ كَلَامِنَا لَاتَّبَعُونَا... (بَنادِرُ البِحار – فى تلخيص بحار الأنوار، للعلاّمة فيض الاسلام، ص ۱۵۹؛ عُيونُ أخبارِ الرِّضا(ع)، الشّيخ الصَّدوق، الباب۲۸، ج۱/ ص۳۰۷).
مؤسّس مُجتمَع " القائميّة "الثّقافىّ بأصبَهانَ – إيرانَ: الشهيد آية الله" الشمس آباذى – "رَحِمَهُ اللهُ – كان أحداً من جَهابذة هذه المدينة، الذى قدِ اشتهَرَ بشَغَفِهِ بأهل بَيت النبىّ (صلواتُ اللهِ علَيهِم) و لاسيَّما بحضرة الإمام علىّ بن موسَى الرِّضا (عليه السّلام) و بساحة صاحِب الزّمان (عَجَّلَ اللهُ تعالى فرجَهُ الشَّريفَ)؛ و لهذا أسّس مع نظره و درايته، فى سَنَةِ ۱۳۴۰ الهجريّة الشمسيّة (=۱۳۸۰ الهجريّة القمريّة)، مؤسَّسةً و طريقةً لم يَنطَفِئ مِصباحُها، بل تُتَّبَع بأقوَى و أحسَنِ مَوقِفٍ كلَّ يوم.
مركز " القائميّة "للتحرّى الحاسوبىّ – بأصبَهانَ، إيرانَ – قد ابتدَأَ أنشِطتَهُ من سَنَةِ ۱۳۸۵ الهجريّة الشمسيّة (=۱۴۲۷ الهجريّة القمريّة) تحتَ عناية سماحة آية الله الحاجّ السيّد حسن الإمامىّ – دامَ عِزّهُ – و مع مساعَدَةِ جمعٍ من خِرّيجى الحوزات العلميّة و طلاب الجوامع، بالليل و النهار، فى مجالاتٍ شتّى: دينيّة، ثقافيّة و علميّة...

الأهداف: الدّفاع عن ساحة الشيعة و تبسيط ثَقافة الثّقَلَين (كتاب الله و اهل البيت عليهـمُ السَّلامُ) و معارفهما، تعزيز دوافع الشـّباب و عموم النـاس إلى التّحَرّی الأدَقّ للمسائل الدّينيّة، تخليف المطالب النّافعة – مكـانَ البَلاتيثِ المبتذلة أو الرّديئة – فی المحاميل (=الهواتف المنقولة) و الحواسيب (=الأجهزة الكمبيوتريّة)، تمهيد أرضيّةٍ واسعةٍ جامعةٍ ثَقافيّةٍ على أساس معارف القرآن و أهل البيت –عليهم السّلام – بباعث نشر المعارف، خدمات للمحققين و الطّلّاب، توسعة ثقافة القراءة و إغناء أوقات فراغة هُواةِ برامِج العلوم الإسلاميّة، إنالة المنابع اللازمة لتسهيل رفع الإبهام و الشّبُهات المنتشرة فی الجامعة، و...

- مِنها العَدالة الاجتماعيّة: التی يُمكِن نشرها و بثّها بالأجهزة الحديثة متصاعدةً، على أنّه يُمكِن تسريعُ إبراز المَرافِق و التسهيلاتِ – فی آكناف البلد - و نشرِ الثّقافةِ الاسلاميّة و الإيرانيّة – فی أنحاء العالَم - مِن جهةٍ اُخرَى.

- من الأنشطة الواسعة للمركز:

الف) طبع و نشر عشراتِ عنوانِ كتبٍ، كتيبة، نشرة شهريّة، مع إقامة مسابقات القِراءة

ب) إنتاجُ مئات أجهزةٍ تحقيقيّة و مكتبية، قابلة للتشغيل فی الحاسوب و المحمول

ج) إنتاج المَعارض ثّلاثيّةِ الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرّسوم المتحرّكة و... الأماكن الدينيّة، السياحيّة و...

د) إبداع الموقع الانترنتی "القائميّة "www.Ghaemiyeh.com و عدّة مَواقِع اُخرَ

ه) إنتاج المُنتَجات العرضيّة، الخَطابات و... للعرض فی القنوات القمريّة

و) الإطلاق و الدَّعم العلميّ لنظام إجابة الأسئلة الشرعيّة، الاخلاقيّة و الاعتقاديّة (الهاتف: ٠٠٩٨٣١١٢٣٥٠٥٢٤)

ز) ترسيم النظام التلقائیّ و اليدویّ للبلوتوث، ويب كشك، و الرّسائل القصيرة SMS

ح) التعاون الفخریّ مع عشراتِ مراكزَ طبيعيّة و اعتباريّة، منها بيوت الآيات العِظام، الحوزات العلميّة، الجوامع، الأماكن الدينيّة كمسجد جَمكرانَ و...

ط) إقامة المؤتمَرات، و تنفيذ مشروع "ما قبلَ المدرسة "الخاصّ بالأطفال و الأحداث المُشارِكين فی الجلسة

ی) إقامة دورات تعليميّة عموميّة و دورات تربية المربّی (حضوراً و افتراضاً) طيلة السَّنَة

المكتب الرّئيسیّ: إيران/أصبهان/ شارع"مسجد سيّد/ "ما بينَ شارع"پنج رَمَضان "ومُفترَق"وفائی/"بناية"القائميّة"

تاريخ التأسيس: ١٣٨٥ الهجريّة الشمسيّة (=١٤٢٧ الهجرية القمريّة)

رقم التسجيل: ٢٣٧٣

الهويّة الوطنيّة: ١٠٨٦٠١٥٢٠٢٦

الموقع: www.ghaemiyeh.com

البريد الالكترونی: Info@ghaemiyeh.com

المَتجَر الانترنتی: www.eslamshop.com

الهاتف: ٢٥-٢٣٥٧٠٢٣- (٠٠٩٨٣١١)

الفاكس: ٢٣٥٧٠٢٢ (٠٣١١)

مكتب طهرانَ ٨٨٣١٨٧٢٢ (٠٢١)

التّجاريّة و المَبيعات ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩

امور المستخدمين ٢٣٣٣٠٤٥(٠٣١١)

ملاحَظة هامّة:

الميزانيّة الحاليّة لهذا المركز، شَعبيّة، تبرّعيّة، غير حكوميّة، و غير ربحيّة، اقتُنِيَت باهتمام جمع من الخيّرين؛ لكنّها لا تُوافِی الحجمَ

المتزايد و المتّسِعَ للامور الدّينيّة و العلميّة الحاليّة و مشاريع التوسعة الثّقافيّة؛ لهذا فقد ترجّى هذا المركزُ صاحِبَ هذا البيتِ (المُسمّى بالقائميّة) و مع ذلك، يرجو مِن جانب سماحة بقيّة الله الأعظم (عَجَّلَ اللهُ تعالى فرَجَهُ الشَّريفَ) أن يُوفِّقَ الكلَّ توفيقاً متزائداً لِإعانتهم - فی حدّ التّمكّن لكلّ احدٍ منهم – إيّانا فی هذا الأمر العظيم؛ إن شاءَ اللهُ تعالی؛ و اللهُ ولیّ التوفيق.


مركز القائمية اصفهان
للبحوث والتحريات الكمبيوترية
WWW
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المركز من فضلكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للايصاء من فضلكم
٠٩١٣ ٢٠٠٠ ١٠٩